

أعلَى درَجاتِ الجنَّةِ وأسفَلُ درَكاتِ النَّارِ



د. خالد أبو شادي





اسم الكتاب: درجات ودركات
التأليف: د. خالد أبو شادي
موضوع الكتاب: ترغيب وترهيب
عدد الصفحات: 176 صفحة
عدد الملازم: 11 ملزمة
مقاس الكتاب: 21.5 × 14.5
عدد الطبعات: الطبعة الأولى
الإيداع القانوني: 2015 / 8241
الترقيم الدولي: I.S.B.N. 978/977/278/482/5
الصف التصويري: آرت للتجهيزات الفنية

التوزيع والنشر

دار البشير للثقافة والعلوم

elbasheer.marketing@gmail.com
darelbasheeralla@gmail.com
ت: 01012355714 - 01152806533

1436هـ
2015 م



لماذا هذا الكتاب؟!

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله..

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء:١]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠، ٧١]

أما بعد..

فبعد أن قدَّمت كتابي (**ليلى.. بين الجنة والنار**)، وعرضت فيها لنعيم الجنة وما يوصل إليها، وعذاب النار وما يدني منها، وكان لزامًا بعد أن انطلق المتسابقون هربًا من النار، وسعيًا نحو الجنة أن أكتب حول ما يورث أعالي الدرجات في الجنات، وما يهوي بالعبد في دركات النار، فهذا الكتاب يعتبر بحق (**الجزء الثاني**) لكتاب ليلى والمكمِّل له.

وهذا مجمل ما دفعني للكتابة في هذا الموضوع:

١) محلُّ عنايةِ الصالحين:

فكثيرًا ما سأل الصَّحابة النبي ﷺ عن أفضلِ الأعمال (أي العمل أفضل يا رسول الله؟!)، وبذلك اعتنى التَّابعون وتابعوهم، والأئمَّة الأعلام حتى صنَّفوا كتبًا في الفضائلِ كفضائلِ القرآن، وفضائل الصَّحابة، وفضائل البلدان، وفضائل الأزمان، وغيرها.

ولذا رأوا أن الصالح ليس الذي عرَف الخير من الشر، بل الذي عرف خير الخيرين فاتبعه، وشر الشرين فاجتنبه، وقد ذهب جمهور الفقهاء إلى تفاضل أنواع الوجوب والتحريم، وقالوا: إن وجوب أحد الفعلين قد يكون أشد من وجوب الآخر، وتحريمه أشد من تحريم الآخر، فهذا أعظم وجوبا، وذاك أعظم تحريمًا.

وقد قال ربنا عن حساب يوم القيامة: ﴿ يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴾ [القيامة:١٣]: هناك تُحاسب على تقديم الأعمال وتأخيرها، واختيار الأعمال واجتنابها، فيُخبَرَ العبد بما قدَّم من صالح الأعمال باعتباره من أفضل الحسنات، وما أخَّر فلم يقربه لأنه من كبائر السيئات.

٢) المؤمن كيِّس فطِن:

المسلم كيِّس فطِنٌ يقطعُ في الزَّمنِ اليسيرِ وبالجهدِ القليلِ أضعاف ما يقطعه غيرُه في الزمنِ الكثير وبجُهد أكبر، ولاسيَّما عند ضيق الأوقات وكثرة الأعباء، فينبغي لمن أراد السبق أن يحرص على الأعمال اليسيرة ذات الأجور الكبيرة.

٣) تلبيس إبليس:

لقد لبَّسَ الشيطان على بعض العُبَّاد، فزيَّن لهم الأعمالَ المرجوحة، وشغلهم بها عمَّا هو أولى. قال ابن الجوزي رحمه الله:

«فأوَّلُ تلبيسِه عليهم إيثارُهم التَّعبُّدَ على العِلم، والعلمُ أفضلُ من النَّوافل»[1].

وقال رحمه الله وهو يعرض لنماذج المخدوعين:

«وقد لبَّسَ على جماعةٍ من المتعبِّدين، فأكثَروا من صلاةِ اللَّيل، ومنهم من يسهَرُه كلَّه، ويفرح بقيامِ اللَّيل، ثم يقعُ قُبيلَ الفجر، فتفوتُه الفريضةُ، أو يقومُ فيتهيَّأُ لها فتفوتُه الجماعةُ، أو يُصبِحُ كسلانَ، فلا يقدِرُ على الكسْبِ لعائلَتِه»[2].

(١) تلبيس إبليس ١/ ١٢١.
(٢) تلبيس إبليس ١/ ١٢٧.



٤) سبب تفاوت النعيم في الجنة:

ليست همة المؤمن أن يدخل الجنة فحسب، بل يصوِّب عين قلبه على أفضل نعيمها، وأعلى درجاتها، فعشقه في الفراديس، وهِمَّته في الملأ الاعلى.

والتفاوت هناك في نواحي كثيرة.. منها -على سبيل المثال لا الحصر- أربعة مجالات: سرعة انقضاء يوم القيامة، والدرجات، والصفوف، والنظر إلى وجه الله الكريم وهو أعظم اللذات.

التفاوت الأول: في سرعة انقضاء يوم القيامة!



فمِنّا من يدخل الجنة فور أن يُبعَث من قبره، ومنا من ينتظر في ساحة الحشر مئات السنين.

منا من يدخل الجنة بغير حساب، ومنا من يدخلها بعد مناقشة حساب وطول عتاب في انتظار الجواب.

منا من يمر عليه يوم القيامة -ومقداره خمسون ألف سنة- كما هو بل أطول، ومنا من يمر عليه كساعات قصار كما في الحديث:

«يوم القيامة على المؤمنين كقدر ما بين الظهر والعصر»[١].

التفاوت الثاني: في الدرجات.

هل تعلم كم درجةً في الجنة؟!

الإجابة في حديثين:

الأول: قال رسول الله ﷺ:

«في الجنة مائة درجة، ما بين كل درجتين مائة عام»[٢].

---

(١) صحيح: رواه الحاكم عن أبي هريرة كما في صحيح الجامع رقم: ٨١٩٣ والسلسلة الصحيحة رقم: ٢٤٥٦.
(٢) صحيح: رواه الترمذي عن أبي هريرة كما في صحيح الجامع رقم: ٤٢٤٥ والصحيحة رقم: ٩٢٢.



الثاني:

«الجنة مائة درجة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، والفردوس أعلى الجنة وأوسطها، وفوقه عرش الرحمن، ومنها يتفجر أنهار الجنة، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس»[١].

لكن ما سبب تفاوت الدرجات؟!

معلومٌ أن دخول الجنة برحمة الله، أما اقتسام الدرجات فيها فعائدٌ لتفاوت العاملين في الأعمال والنوايا، أي بأعمال الجوارح وأعمال القلوب.

قال **المناوي** رحمه الله:

«ودخول الجنة -وإن كان- إنما هو بالفضل لا بالعمل، فرفع الدرجات فيها بالأعمال»[٢].

لكن الحسنات ليست في منزلة واحدة، ولا السيئات كذلك.

قال **ابن تيمية** رحمه الله:

«والحسنات درجات بعضها فوق بعض، والسيئات بعضها أكبر من بعض، فكما أن أهل الحسنات ينقسمون إلى الأبرار المقتصدين والسابقين المقربين، فأهل السَّيِّئات ينقسمون إلى الفجار الظَّالمين والكفَّار المكذبين، وكلٌّ من هؤلاء هم درجات عِنْد الله»[٣].

---

(١) صحيح: رواه ابن ماجة عن معاذ والحاكم عن عبادة بن الصامت كما في صحيح الجامع رقم: ٣١٢١.
قال الحافظ **ابن حجر** عن سعة الجنة وتباعد درجاتها: «عند الترمذي: ما بين كل درجتين مائة عام، وللطبراني من هذا الوجه: خمسمائة عام، فإن كانتا محفوظتين، كان اختلاف العدد بالنسبة إلى اختلاف السير». فتح الباري ٦/ ١٢، ١٣.
وقال **ابن القيم**: «لا تناقض بين تقدير ما بين الدرجتين، لاختلاف السير في السرعة، والبطء، والنبي ﷺ ذكر هذا تقريبًا للأفهام» حادي الأرواح ص٦١.

(٢) فيض القدير ٣/ ٥٦١.

(٣) الاستقامة ١/ ٤٦١.

وهنا إشارة:



التميز يستدعي التميز!

تميز أماكن الإقامة هناك يتطلب تميز صالح الأعمال هنا..

ففي الجنة يكون ارتقاء المنازل بحسب ما بلغت في سُلَّم الفضائل!

وكما هو واضحٌ في الحديث، فقد أراد رسول الله ﷺ أن تكون همَّتنا أعلى الهمم فأمَرَنا:

«فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس».

هي همة المسلم كما أرادها الله، وتربية النبوة التي تعلم خبايا نفسك، فترشدها إلى أفضل مسالك تربيتها.

وكان لابد لمواكبة سؤال الله الفردوس -وهو أعلى درجات الجنة وأفضلها- مِن بذل أفضل الأعمال، وإلا فلا يطمع هذا السائل في منافسة الرجال و إدراك المحال!

وهذا الكتاب خطوة في طريق معرفة أعظم الأعمال التي ترفع الدرجات، وكيف لا نعرِض لها وتشغل تفكيرنا! وإن الملأ الأعلى من الملائكة ليختصمون حولها، ولذا أورد الإمام **أحمد** رحمه الله حديث: (**فيم يختصم الملأ الأعلى؟**).

قال **ابن رجب** رحمه الله:

«فيه دلالة على أن الملأ الأعلى وهم الملائكة أو المقرَّبون منهم يختصمون في ما بينهم، ويتراجعون القول في الأعمال التي تقرِّب بني آدم إلى الله عز وجل، وتكفّر بها عنهم خطاياهم»(١).

(١) اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى ١/ ٤٢ - ابن رجب الحنبلي - ط مكتبة دار الأقصى - الكويت.



وتفاوت ثالث: في ترتيب الصفوف

عن **بريدة** رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«أهل الجنة عشرون ومائة صف، ثمانون منها من هذه الأمة، وأربعون من سائر الأمم»(١).

أول صف هنا.. هو أول صف هناك..

والسابقون هم السابقون.. السابقون في الدنيا.. هم السابقون إلى الجنة..

وأنت وحدك من تحدِّد ترتيب وقوفك غدا في صفوف أهل الجنة، أن تتقدم فيها أو تتأخَّر.. بحسب عملك.. وعلى قدر تعبك وبذلك وسبقك.

الذين يحتلون الصفوف الأولى في الصلاة.. في الصدقة.. في التضحية.. في اتقاء المحارم.. في نفع الناس.. في هداية الخلق..

هم الواقفون غدًا في أوائل الصفوف على أبواب الجنة..

سلعة بسلعة، وثمنًا بثمن، ولا يظلم ربك أحدا.

وتفاوت رابع:

في النظر إلى وجه الله الكريم، فليس النظر على درجة واحدة، بل يتفاوت بحسب تفاوت الأعمال، وتفاوت أهل الجنة يقع هنا في أمرين: معدَّل النظر، ولذة النظر.

فأما التفاوت في معدَّل النظر فهو كما قال **عبد الرحمن السعدي** في تفسير قوله تعالى في المؤمنين: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾:

«أي تنظر إلى ربها حسب مراتبهم:

منهم من ينظره كل يوم بكرة وعشيا.

ومنهم من ينظره كل جمعة مرة واحدة.

---

(١) صحيح: رواه الترمذي والدارمي والبيهقي كما في مشكاة المصابيح ٣/ ٢٢٦.

فيتمتعون بالنظر إلى وجهه الكريم وجماله الباهر، الذي ليس كمثله شيء»[1].

وأما التفاوت في لذة النظر فقال فيه ابن القيِّم رحمه الله: «لذة النظر إلى وجه الله يوم القيامة تابعة للتلذذ بمعرفته ومحبته في الدنيا، فإن اللذة تتبع الشعور والمحبة، فكلما كان المحب أعرف بالمحبوب وأشد محبة له كان التذاذه بقربه ورؤيته ووصوله إليه أعظم»[2].

وفي ضوء هذا التفاوت الشاسع والتباين الهائل في يوم القيامة والدرجات ولذة النظر يبرز تساؤلٌ مشروع:

كيف يطمع من قدَّم الثمن الرخيص في الفوز بالكنز النفيس؟!

يا هذا!

أما علمت أن أسوأ الخُطَّاب حالًا من كان بخيلًا محتالًا!

رُوِي أن الحسن البصري رحمه الله نظر إلى رجل يعبث بالحصى ويقول اللهم زوِّجني الحور العين، فقال:

«بئس الخاطب! تخطب الحور العين وأنت تعبث بالحصى!»[3].

٥) سبب تفاوت دركات النار:

وفي المقابل فإن للنار دركات أي طبقات ومنازل، (وإنما قال: دركات ولم يقل درجات لاستعمال العرب لكل ما تسافل دَرَك، ولما تعالى درج، فيقول للجنة درج وللنار درك، فالمنافقون في الدرك الأسفل من النار، وهي الهاوية لغلظ كفرهم وكثرة غوائلهم وتمكنهم من أذى المؤمنين)[4].

وقد أقسم ربنا أنه سيُحضر أهل النار حولها جاثين على الرُّكَب، وستتوالى خطوات

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ١/ ٨٩٩ - عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي- مؤسسة الرسالة.

(٢) إغاثة اللهفان ١/ ٣٣ بتصرف.

(٣) إحياء علوم الدين ١/ ١٥١.

(٤) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة ٨٣٨ - القرطبي - مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض.

العقاب: ﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ۞ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا﴾ [مريم: ٦٩، ٧٠]

ومعنى الآية: لنخرجن من كل طائفة من طوائف البغي والإفساد أعظمهم لله معصية وأكثرهم جرمًا وأشدهم جراءة على العدوان، الأعتى فالأعتى، وسنبدأ برؤوس الشر وقادة الإجرام، فإذا اجتمعوا حول النار.. طرحناهم فيها على الترتيب، فنقدِّم للعذاب من فاق غيره في الإفساد.

ولابد للعاقل من تمييز!

كثيرٌ من الناس لا يميِّز بين الذنوب، فتستوي عنده الصغائر والكبائر، وإذا كان الإصرار على الصغيرة يحوِّلها إلى كبيرة، فكيف بالإصرار على الكبيرة؟!

وكيف إذا صاحبه انتشار هذه الكبيرة، وكيف إذا صاحب هذا الانتشار: الاستصغار! وقد قيل: لو لم يبق في ذمتك غير دينار، فلا تأمن الشيطان أن يطرحك به في النار!

وبالتالي تتفاوت العقوبات بحسب تباين السيئات! ويطول المكث في جهنم أو يقصر بحسب ما تتعاظم من العبد السيئات أو تصغر، وهذا التفاوت في شدة العذاب تراه جليًا واضحا في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه الذي رواه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«إن أهون أهل النار عذابًا رجل منتعل بنعلين من نار يغلي منهما دماغه مع إجراء العذاب.

ومنهم من في النار إلى كعبيه مع إجراء العذاب.

ومنهم من في النار إلى ركبتيه مع إجراء العذاب.

ومنهم من في النار إلى أرنبته مع إجراء العذاب.



ومنهم من في النار إلى صدره مع إجراء العذاب.

ومنهم من قد اغتُمِر في النار»[١].

ولاشك أن هذا من العلم الغائب عن كثير من الناس، وهو غيابٌ مهلك! فيحتقر الإنسان كبائر يقع فيها في مقابل استعظامه لبعض صغائره.

حاسب ☹	حاسب ☺	الدركة	دركات الذنوب	
		ارتكب	الصغيرة	قال **ميمون بن مهران**: «إن العبد إذا أذنب ذنبا نُكِت في قلبه بذلك الذنب نكتة سوداء، فإن تاب مُحِيَتْ من قلبه، فترى قلب المؤمن مجلًّى مثـل المرآة، مـا يأتيـه الشيطان من ناحية إلا أبصره،
		استصغِر	الاستصغار	وأما الذي يتتابع في الذنوب، فإنه كلما أذنب ذنبا نُكِتَ فـي قلبـه نكتة سوداء.
		أصرَّ	الإصرار	فلا يـزال ينكت في قلبـه حتـى يسـوَدَّ قلبـه، ولا يبصر الشيطان مـن حيث
		افتخِر	الافتخار	يأتيه».
		انشر	الانتشار	

٦) الأحسن عملًا لا الأكثر:

قال **ابن تيمية** رحمه الله:

«الرجل قد يأتي بالعمل الفاضل من غير قيام بشروطه، ولا إخلاص فيه، فيكون بتفويت شرائطه دون من أتى بالمفضول المكمل»[٢].

---

(١) صحيح: رواه أحمد والبزار ورواته رواة الصحيح كما في صحيح الترغيب والترهيب رقم ٣٦٨٦.
(٢) مجموع الفتاوى ١١/ ٤٠٠ - ابن تيمية - مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.



وهذا أمثلة واضحة:

- قد تكون الدعوة إلى الله أشرف مقامًا من العبادة الفردية، لكن الداعية قد يرائي ويرجو التفات أعناق الناس إليه، فيهوي من هذا المقام السامي إلى ما دون قائم الليل وصائم النهار والمتصدق بالأموال بكثير حتى يهوي إلى النار!
- الجهاد ذروة سنام الإسلام، والمجاهد في سبيل الله له من الأجر ما ليس لغيره، لكنه إذا جاهد رياء وسمعة، وتجاوز الحدَّ فسفك الدم الحرام، فقد هوى بنفسه.

٧) نافس نفسك وغيرك!

لا وقوف البتة في رحلة السير إلى الآخرة، فإما تقدم وإما تأخر، وإن لم ترتق الدرجات، فستهوي حتما في الدركات، وهذا أمرٌ يحرِّكك إلى استكشاف آفاق الدرجات لترتقيها، وتنافس نفسك في تحصيلها يوما من بعد يوم، وتنافس من حولك في الصالحات وهي في واقع الأمر منافسة على درجات الجنات، وفي وقتٍ تنافس فيه أكثر الخلق في الشهوات وتحصيل الملذَّات.

في هذا الكتاب فتح الأبواب المغلقة، وذكر ميادين غير ظاهرة لإشعال شعلة التنافس بين المتسابقين.

٨) توازن الخوف والرجاء:

جناحان يطير بهما العبد إلى ربه، ومن فقد أحدهما سقط في جُبِّ اليأس أو هوَّة التفريط والعصيان، وليس مثل الخوف والرجاء سائقين نحو المعالي.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﵀:

«فلا يحل لأحد أن يقنط من رحمة الله وإن عظمت ذنوبه، ولا أن يُقنِّط الناس من رحمة الله.

قال بعض السلف: إن الفقيه كل الفقيه الذي لا يؤيِّس الناس من رحمة الله، ولا يجرِّئهم على معاصي الله»[1].

ومن فقه الإمام **مسلم** رحمه الله أنه ساق في صحيحه حديثين عظيمين متتاليين: أحدهما يناسب الخوف وهو حديث المرأة التي حبست الهرة فدخلت النار، والآخر يناسب الرجاء وهو حديث المرأة البَغِيِّ التي سقت كلبا فغفر الله لها.

قال الإمام **الزهري** رحمه الله:

«لئلا يتَّكِل رجل، ولا ييأس رجل»[2].

وفي هذا الكتاب تجسيد لهذا التوازن، فبعد عرض كل درجة من الدرجات مع ما يورثها من أعمال أعرض الدَّرَكة المقابلة بأعمالها، درجة فدركة، وهكذا في **إحدى وعشرين درَجة** يقابلها **إحدى وعشرون درَكة**، فالترهيب والترغيب في صفحة واحدة، والخوف الرجاء متعانقان!

أسأل الله أن ينفعني وإياكم بهذا الكتاب، فنتنافس جميعا للهروب من دركات النار باجتناب الكبائر والموبقات، وننطلق بجِدٍّ للفوز بأعلى درجات الجنة عن طريق الحرص على أفضل الأعمال والقُرُبات.

اللهم وفِّقنا به لمداواة قلوب المرضى ونحن من أهلها، وشفاء الأرواح السقيمة ولعلنا من أصحابها، فإنَّك أقرب قريب، وأكرم مجيب!

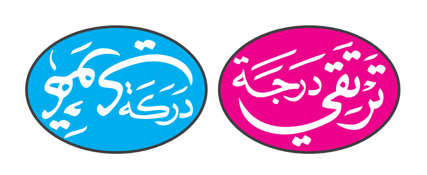


(١) مجموع الفتاوى ١٦/ ٢٠.
(٢) فتح الرحيم الملك العلام ص١٦٤.



مفتاحا استخدام الكتاب!

المفتاح الأول:



متى رأيتَ هذه الكلمة في صفحات الكتاب بلونها ورسمها المميزين، فالتفِت إليها بقلبك، **واستشعر أنها فرصة ارتقاء، وكنز ثمين يغريك للاقتناء،** فاجعل هذا العمل في خطتك، واستهدِفه بعزمك، وادعُ إليه من تحب، وكل من تتمنى صحبته في جنات عدن.

متى رأيتها هذه الكلمة في الكتاب بلونها ورسمها المميزين، **فاعلم أنها صرخة نذير وصيحة تحذير،** فاحذر هذا العمل، ونبِّه غيرك من الجاهلين ليجتنبوه، وأنقذ من تحب من الغافلين ليحذروه.

المفتاح الثاني:

جدول (هم درجاتٌ عند الله)

هذا الجدول بمثابة وِرد محاسبة، ودوره أن يحوِّل كلمات الكتاب إلى **برنامج عملي،** ويعينك على متابعة ارتقائك في درجات الأعمال ليكون ذلك من بشائر ارتقائك في درجات الجنة.

ستجِد عدة جداول منه منثورة في صفحات الكتاب تتناول أعمالا منوَّعة، فاستخدِمها في تقييم مستواك وقياس درجة هداك، ثم استعمِلها بعد ذلك في منافسة نفسك يوما بعد يوم، ثم منافسة مَنْ حولَك من صالحي القوم.



1 درجة ذكر المؤمنين

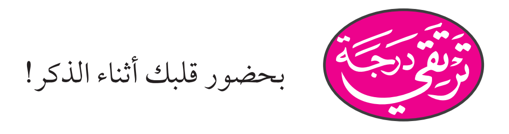


الذاكرون في العموم هم أسبق المتسابقين وأول المتقدِّمين!

قال ابن القيم رحمه الله:

«عُمّال الآخرة كلهم في مضمار السباق، والذاكرون هم أسبقهم في ذلك المضمار، ولكن القترة والغبار يمنع من رؤية سبقهم، فإذا انجلى الغبار وانكشف رآهم الناس وقد حازوا قصب السبق»(١).

لكن الذاكر لا يشبع من مضاعفة الأرباح، ويجدد العزم والإصرار على زيادة أملاكه في الجنة كل صباح، ولذا يمضي في ارتقاء هذه الدرجات:



بحضور قلبك أثناء الذكر!

تحكمنا هنا قاعدة: «أعمال القلب أفرض على العبد من أعمال الجوارح، وعبودية القلب أعظم من عبودية الجوارح وأكثر وأدوم، فهي واجبة في كل وقت»(٢).

> أعمال القلب أعظم وأكبر وأدوم لأن القلب قد يرفع صاحبه إلى أعلى عليين أو يهوي به إلى أسفل سافلين..

وإن تباين الناس في حضور القلب سبب رئيسٌ من أسباب اختلاف الدرجات، وتباين العباد يوم القيامة في المقامات.

---

(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب ص٧٨ - دار الحديث - القاهرة.
(٢) حلية الأولياء ٥/ ٢٩٦.



وبحسب درجة حضور القلب يتفاوت الأجر، فما بين غياب تام إلى حضور تام يتنامى الثواب من أقلِّه إلى تمامه.

قال **ابن القيم** رحمه الله:

«وكل قول رتَّب الشارع ما رتَّب عليه من الثواب، فإنما هو القول التام، كقوله صلى الله عليه وسلم:

«من قال في يوم: سبحان الله وبحمده مائة مرة، حُطَّت عنه خطاياه -أو غُفِرتْ ذنوبه- ولو كانت مثل زبد البحر».

وليس هذا مرتبًا على مجرد قول اللسان.

نعم من قالها بلسانه، غافلا عن معناها، مُعرِضا عن تدبُّرِها، ولم يواطئ قلبه لسانه، ولا عرف قدرها وحقيقتها، راجيا مع ذلك ثوابها، حطَّت من خطاياه بحسب ما في قلبه، فإن **الأعمال لا تتفاضل بصورها وعددها، وإنما تتفاضل بتفاضل ما في القلوب**، فتكون صورة العملين واحدة، وبينهما في التفاضل كما بين السماء والأرض»[1].

إن صاحب السبق سبَقَ لأنه علِم أن العمل الصالح بجودته لا بكثرته، وقرأ تزكية **ابن القيِّم** رحمه الله:

«ورُبَّ تسبيحة من إنسان أفضل من ملء الأرض من عمل غيره، وكان **إدريس** يُرفع له في اليوم مثل عمل جميع أهل الأرض! وإن الرجلين ليكونان في الصف وأجر ما بين صلاتيهما كما بين السماء والأرض»[2].

ترتقي درجة بكثرة ذكرك الذي أمرك به القرآن والأحاديث، فكلما زاد ذكرك كلما ارتقت في الجنة درجتك واتسع ملكُك.

(١) مدارج السالكين ١/ ٣٣٩، ٣٤٠.
(٢) مجموع الفتاوى ٤/ ٣٧٨، ٣٧٩.



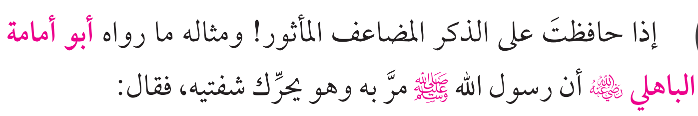
قال **أبو سليمان الداراني** رحمه الله:

«إن في الجنَّة قيعانا، فإذا أخذ الذاكر في الذكر أخذت الملائكة في غرس الأشجار فيها، فربما يقف بعض الملائكة، فيقال له: لم وقفت؟! فيقال فتر صاحبي!»[1].

ومثله قول **الحسن البصري** رحمه الله:

«الملائكة يعملون لبني آدم في الجنان يغرسون ويبنون، فربما أمسكوا، فيقال لهم: قد أمسكتم؟! فيقولون: حتى تأتينا النفقات! قال **الحسن**: فأتعبوهم بأبي أنتم وأمي على العمل»[2].





إذا حافظتَ على الذكر المضاعف المأثور! ومثاله ما رواه **أبو أمامة الباهلي** رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ مرَّ به وهو يحرِّك شفتيه، فقال:

«ماذا تقول يا أبا أمامة؟»

قال: أذكر ربي.

قال رسول الله ﷺ:

«ألا أدلك على ما هو أكثر من ذكرك الله الليل مع النهار؟ تقول:

الحمد لله عدد ما خلق.. الحمد لله ملء ما خلق.

الحمد لله عدد ما في السموات وما في الأرض..

الحمد لله عدد ما أحصى كتابه، والحمد لله على ما أحصى كتابه.

والحمد لله عدد كل شيء، والحمد لله ملء كل شيء.

وتُسبِّح الله مثلهن.. تعلَّمْهُن وعَلِّمهُنَّ عَقِبَك من بعدك»[3].

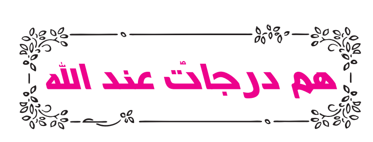
---

(١) إحياء علوم الدين ٢/ ٣٧٨.

(٢) لطائف المعارف ١/ ٥٩.

(٣) صحيح: رواه الطبرني عن أبي أمامة كما في صحيح الجامع رقم: ٢٦١٥.





هم درجاتٌ عند الله

حاسِب ☺	حاسِب ☹	الدرجة
		اذكر عند غفلة
		ذكرًا مضاعفًا
		ذكرًا خفيًا
		عند المحارم
		اذكره كثيرًا
		داوِم
		أحضِر قلبك
		اذكر

درجة ذكر المؤمنين
الذكر في الغفلة
الذكر المضاعف
الذكر الخفي
ذكر الله عند الحرام
ذكرًا كثيرًا
المداومة عليه
ذكرٌ بحضور قلب
ذكر بغفلة

قال رسول الله ﷺ:

«سبق المفَرِّدون».

قالوا: وما المفرِّدون يا رسول الله؟

قال:

«الذاكـــرون الله كثيـــرا والذاكرات».

1 دركة ذكر المنافقين!

ما قيمة عبدٍ شاكرٍ بلسانه.. جاحدٍ بأركانه؟!

يحفظ القرآن عن ظهر قلب لكن يضيِّع حدوده وينتهك محارمه..

إن المنافقين يقومون إلى الصلاة لكن وهم كسالى، ويذكرون الله لكن ذكرًا قليلًا، وقد رأى **الحسن البصري** رحمه الله أن قلة ذكرهم سببها ضعف إخلاصهم فقال:

«إنما قلَّ؛ لأنه لغير الله عز وجل»[١].

---

(١) الزهد لأحمد ١/ ٢٢٠.



بل حتى سماعهم للذكر عجيبٌ! قال تعالى فيه:

﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ١٢٤ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَتۡهُمۡ رِجۡسًا إِلَىٰ رِجۡسِهِمۡ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ﴾ [التوبة ١٢٤، ١٢٥].

فالمؤمن يستبشِر بنزول آيات القرآن، فيملأ السرور بَشْرته، وتعلوه الفرحة والانبساط، ويستبشِر بآيات القرآن لأنه فهم منها معنى جديدًا أدخَل السرور على قلبه، أو يرتاح لنزول تكليفات جديدة لأنه يعظم بها ثوابه ويرتفع مقامه، وهو غير المنافق الذي يكره أن ينزل حكمٌ جديد من الله ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَتۡهُمۡ رِجۡسًا إِلَىٰ رِجۡسِهِمۡ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ﴾ [التوبة ١٢٥].

آية جديدة جاءت بحكمٍ جديد مما يَزيد عناء المنافق ويُثقل كاهله!

فالآية واحدة، لكن القلوب المستقبلة لها متفاوتة، فالمؤمن يستقبلها بقلبٍ سليم، فيزداد بها إيمانا، والكافر يستقبلها بملكات فاسدة، فيزدادَ بها شكًّا وكفرا، فالمشكلة إذن في ملكات التلقي وأجهزة الاستقبال الفاسدة، وما أفسدها إلا صاحبها بمواظبته على ما يُغضِب الله.

ولله در القائل:

قد تُنكِر العينُ ضوءَ الشمس من رمدٍ ... ويُنكِر الفـم طعم الماء من سَقَمٍ

وهنا يكون القرآن حجة على صاحبه، وتكون كثرة الآيات مع عدم العمل بها دليل إدانة يضاعف على العبد التَّبِعات ويهوي بالدركات.

ولذا رأى **عمر بن الخطاب** رضي الله عنه أن قراءة القرآن وحدها ليست كافية للحكم على شخص بالصلاح أو الفساد، فقال:

«لا يغرركم من قرأ القرآن؛ إنما هو كلام نتكلَّم به، ولكن انظروا من يعمل به»[1].

(١) اقتضاء العلم العمل ١/ ٧١



2 درجة
إقامة الفرائـــض

في الحديث الذي تفرَّد بإخراجه **البخاري** رحمه الله دون باقي أصحاب الكتب:

«وما تقرب إليَّ عبدي بشيءٍ أحب إليَّ مما افترضتُ عليه».

فأحب شيء إلى الله الفرائض، وهذا يشمل **الفرائض الظاهرة فعلا** كالصلاة والزكاة والحج وصوم رمضان، **وتركًا** كالزنا والربا والقتل والكذب وغيرها من المحرمات.

ويشمل كذلك **الفرائض الباطنة فعلا** كخوف الله ومحبته والتوكل عليه وغير ذلك من أعمال القلوب، **وتركًا** كالكبر والعُجب والحسد وأمثالها.

أعلى الناس مرقى في الجبل أشدهم حذرا!
وأعلاهم درجة في مدارج الآخرة أشدهم حذرا من سيء العمل.

الفريضة إذن أثقل في ميزان العبد من النوافل حتى أن إمام الحرمين **الجويني** قال عن بعض العلماء:

«ثواب الفرض يزيد على ثواب النافلة بسبعين درجة»(١).

وتابعه **الفضيل بن عياض** رحمه الله فقال:

«لن يتقرَّب العباد إلى الله بشيء أفضل من الفرائض، الفرائض رؤوس الأموال، والنوافل الأرباح»(٢).

وترجمة ذلك عمليًا كما يلي:

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري ٨/ ٣١٢ - بدر الدين العيني - دار إحياء التراث العربي - بيروت.
(٢) حلية الأولياء ٨/ ١٠٠.



* الصلوات الخمس أحب إلى ربنا من قيام الليل والسنن الرواتب، مما يستلزم من عاشق السبق أن يُتِمَّ خشوعها، ويسارع إلى أدائها فور سماع ندائها.

ولذا أوصى **عمر بن الخطاب** رضي الله عنه في وصية صنعت ميزانًا دقيقًا ومعيارًا فريدًا لأفضلية الأعمال فقال:

«لأن أشهد صلاة الصُّبح في جماعة أحب إليَّ من أن أقوم ليلة»(١).

ومن هنا أوْلى الصالحون صلاة الفريضة اهتمامًا كبيرًا وحرصًا عظيمًا، فقد روى **هشام بن عروة** رحمه الله عن أبيه أنه كان يطيل الصلاة المكتوبة أكثر من غيرها من النوافل؛ لأنها في الميزان أثقل، وعند الرحمن أغلى، قائلًا: «**هي رأس المال**»(٢).

وجعلوا أكثر دعائهم وأطوله وأخشعه في صلاة الفريضة؛ لأن ربحها ليس كأي ربح، وخسارتها أفدح الخسائر، فأوصى **عون بن عبد الله** رحمه الله في وصية ثمينة:

«اجعلوا حوائجكم اللاتي تُهِمُّكم في الصلاة المكتوبة؛ فإن الدعاء فيها كفضلها على النافلة»(٣).

* وصوم رمضان أحب إلى الله من صوم الاثنين والخميس والأيام البيض وستٍّ من شوال؛ مما يستوجب من صاحب الدرجات أن يكون أشد حيطة من ذنبٍ يُفسِد به صوم الفريضة الأهم.
* وزكاة المال أحبُّ إلى الله من الصدقة، مما يدفع السابق إلى السبق بها فور بلوغ نصابها وحلول حوْلِها.

---
(١) رواه مالك في الموطأ رقم ٢٩١ – ط دار الكتب العلمية.
(٢) تاريخ بغداد ٨/ ٢٥١.
(٣) حلية الأولياء ٤/ ٢٥٣.



هؤلاء هم الأكياس.. يهتمون بالأهم فالمهم، بهذا وصفهم صاحب القول الأخَّاذ **يحيى بن معاذ** رحمه الله:

«الكيِّس من عُمَّال الله يلهج بتقـويم الفرائض، والجاهل يُعنى بطلب الفضائل»[1].

وأمثال هؤلاء لا تنطلي عليهم خدعة الشيطان التي احتال بها على بعض العُبَّاد حين شغلهم بالنافلة عن الفريضة!

حتى فضح **أبو سليمان الداراني** رحمه الله خِدعَته وحذَّرك قائلا:

«كلُّ من كان في شيء من التطوع يلِذُّ به، فجاء وقت فريضة فلم يقطع وقتُها لذةَ التطوع، فهو في تطوُّعِه مخدوع»[2].



هم درجاتٌ عند الله

حاسِب ☺	حاسِب ☹	الدرجة	درجة إقامة الفرائض (صلاة الفجر نموذجًا)
		قم في السَّحَر	قيام الأسحار
		أذِّن للفجر	أذان الفجر في المسجد
		أيقظ من حولك	إيقاظ من تحب من إخوانك
		التكبيرة الأولى	إدراك تكبيرة الإحرام
		جماعة في المسجد	صلاة الفجر في المسجد
		الفجر في البيت	الفجر في البيت

قال رسول الله ﷺ:

«من صلى الصبح فهو في ذمة الله، فانظر يا ابن آدم، لا يطلبنَّك من ذمته بشيء، فـإنَّ من يطلبه من ذِمَّته بشيءٍ يدركه ثم يَكُبُّه على وجهه في نار جهنم».

(١) صفة الصفوة ٤/ ٣٤٠.

(٢) صيد الخاطر ص ١٤٨.



2 دركة انتهاك الحرمات

وهي الوقوع في المحرمات، وللحرام سبعة أبواب يطرق بها قلب العبد، وهي الجوارح السبعة: العين، والأذن، واللسان، والبطن، والفرج، واليد، والرجل، فكلها عليها واجبات من فعل حسنات واجتناب حرُمات، ومن استبدل عبودية الجوارح لله بعبوديتها للشيطان، فقد استعجل حتفه واستبق عذابه.

دركة تهم

إذا ضيَّعتَ الفريضة فلم تؤدِّها، وأعظم الفرائض الصلاة، فأسفلهم وأحطُّهم منزلة: تارك الصلاة الذي يكفيه وزرا اتفاق العلماء على كفره إن تركها جحودا وإنكارا، واختلافهم على كفره إن تركها غفلة وتكاسلًا حتى قال **عمر** رضي الله عنه:

«لا حظَّ في الإسلام لمن ترك الصلاة»!

ولهذا لم يتصوَّروا أن مسلمًا لا يصلي! ذكر **ولي الدين أبو زرعة ابن العراقي** في كتابه طرح التثريب:

«بلغني عن بعض علماء المغرب فيما حكاه لي صاحبنا الشيخ الإمام **أبو الطيب المغربي** رحمه الله أنه تكلم يوما في ترك الصلاة عمدا، ثم قال: وهذه المسألة مما فرضها العلماء ولم تقع؛ لأن أحدا من المسلمين لا يتعمد ترك الصلاة.

وكان ذلك العالم غير مخالط للناس، ونشأ عند أبيه مشتغلا بالعلم من صغره حتى كبر ودرس، فقال ذلك في درسه»[١].

ومثله تارك الزكاة أو المفطر في نهار رمضان.. هؤلاء في أسفل الدركات إلا أن يغفر

---

(١) طرح التثريب في شرح التقريب ٢/ ١٥٠ – العراقي – ط دار إحياء التراث العربي.



الله لمن شاء.



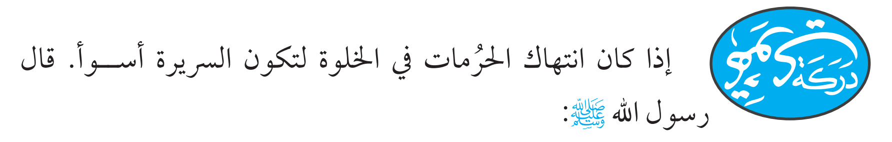
إذا حافظتَ على النافلة وفرَّطتَ في الفريضة.

يحج ويظلم..

يتصدق من مال مسروق..

تكفل أيتاما وتتبرج! وهذه فلتسمع إعلان حرمانها على لسان نبيها:

«وشرُّ نسائكم المتبرِّجات المتخيِّلات، وهُنَّ المنافقات، لا يدخل الجنة منهن إلا مثل الغراب الأعصم»[1].



إذا كان انتهاك الحُرمات في الخلوة لتكون السريرة أسوأ. قال رسول الله ﷺ:

«لأعلمن أقوامًا من أمتي يأتون يوم القيامة بحسنات أمثال جبال تهامة بيضاء، فيجعلها الله هباء منثورا».

قال **ثوبان**: يا رسول الله صفهم لنا.. جلِّهم لنا أن لا نكون منهم ونحن لا نعلم.

قال:

«أما إنهم إخوانكم ومن جلدتكم، ويأخذون من الليل كما تأخذون، ولكنهم أقوام إذا خلو بمحارم الله انتهكوها»[2].

قال **ابن الجوزي** رحمه الله وهو يربط بين السلوك في الخلوات والقبول بين الخلق في المعاملات:

---

(١) صحيح: رواه البيهقي عن أبي أذينة كما في صحيح الجامع رقم: ٣٣٣٠. والغراب الأعصم هو أبيض الجناحين أو الرِّجلين، والمعنى: قِلَّة من يدخل الجنة منهن لأن هذا الوصف في الغراب عزيز، وقال بعضهم: وهذا غير موجود في الغربان، فمعناه لا يدخل أحد من المختالات المتبرجات الجنة.

(٢) صحيح: رواه ابن ماجة كما في السلسلة الصحيحة رقم: ٥٠٥.



«ورأيت أقوامًا من المنتسبين إلى العلم، أهملوا نظر الحق -عز وجل- إليهم في الخلوات، فمحا محاسن ذكرهم في الجلوات، فكانوا موجودين كالمعدومين، لا حلاوة لرؤيتهم، ولا قلبٌ يحِنُّ إلى لقائهم!»(١).

وقال في موضع آخر:

«فسبحان من أظهر دليل الخلوات على أربابها، حتى إن حبات القلوب تتعلق بأهل الخير، وتنفر من أهل الشر، من غير مطالعة لشيء من أعمال الكل»(٢).

دركة تهوي

إذا كنت مع انتهاك المحارم بارد القلب لا تراجع نفسك بتوبة، ولا تؤلمك معصيتك أو تسوؤك سيئتك.

دركة تهوي

إذا كنت بين الناس بالصلاح معروفا، فإذا أغلقت عليك بابك كنت بالعصيان موصوفًا، فتكون ذا وجهين، أقوالك حُلوة لكن أحوالك مُرَّة، فتكون جريمتك مضاعفة، وتنال وزرك مرتين: مرة لعصيانك، ومرة لتدليسك وغشِّك، بل ومرة ثالثة لتقديمك رضا الخلق على الخالق وتزيُّنك لهم دون ربك.

وتفجؤك -إن لم تتب- عقوبة مشدَّدة لكنها مؤخَّرة إلى يوم القيامة، وما أشق العقوبة إذا كانت مفاجئة!

﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر ٤٧].



---

(١) حلية الأولياء ٣/ ١٩٢.

(٢) صيد الخاطر ص ٢٠١.



3 درجة الأزمنة الفاضلة!

فضَّل الله سبحانه وتعالى بعض الشهور على بعض، وبعض الأيام على بعض، وبعض الساعات كذلك، **فما ليلة المزدلفة كيوم عرفة**، وقد نبَّه سادة العلماء وأطباء القلوب على ضرورة توجيه الاهتمام الأكبر نحو هذه الأزمنة.

قال **ابن القيم** رحمه الله:

«يوم الجمعة ميزان الأسبوع، ورمضان ميزان العام، والحج ميزان العمر»(١).

ولذا ضاعف الله ثواب الأعمال الصالحة في هذه الأزمنة، فالسعيد من اغتنم مواسم الخير من الشهور والأيام والساعات، وتقرَّب فيها إلى مولاه بما فيها من الطاعات، لعل أن تصيبه نفحة من تلك النفحات، فيسعد سعادة الأبد.

وقد شبَّهوا ذلك بالمِلك الذي يُجري الأرزاق على رعاياه كل شهر، لكنَّ له أثناء ذلك عطايا خاصة ومنح مميزة، وذلك في مواسم معيَّنة وأوقات معروفة تنفتح فيها أبواب الخزائن، ليُغدِق فيها من كرمه ما يفوق عطايا العام كله، فمن وافق ساعة الفتح استغنى للأبد!

(وأبهَم وقت الفتح هنا ليُتَعرض في كل وقت، فمن داوم الطلب يوشك أن يصادف وقت الفتح، فيظفر بالغنى الأكبر، ويسعد السعد الأفخر، وكم من سائلٍ سأل فَرُدَّ مرارا، فإذا وافق المسؤول قد فتح كيسه لينفق ما يرده، وإن كان قد ردَّه قبل)(٢).

من الأزمنة الفاضلةِ **شهرُ رمضان**، ولذا يُضاعف فيه ثواب الأعمال..

---

(١) زاد المعاد ١/ ٣٨٤.
(٢) فيض القدير ٢/ ٥٠٥.



فمثلًا:

- يُستحب فيه الإنفاق فقد (كان ﷺ أجود ما يكون في رمضان).
- ويُستحَب فيه الذكر ويتضاعف ثوابه حتى قال **الزُّهري** رحمه الله:

«تسبيحة في رمضان أفضل من ألف تسبيحة في غيره»[1].

- ويُستحب فيه الاعتكاف لاغتنام العشر الأواخر منه، والفوز بليلة القدر التي هي خيرٌ من ألف شهر.

قال **أبو السعود العمادي** رحمه الله في تفسيره:

«﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ﴾ [القدر٢] لما فيهِ منَ الدلالةِ عَلى أنَّ علوَّ قدرِها خارجٌ عنْ دائرةِ درايةِ الخَلْقِ لا يدريها، ولا يدريها إلا علاَّمُ الغيوب»[2].

ولأنه ليلة القدر من أشرف الأزمنة المباركة فقد ضاعف الله فيها الثواب أضعافا مضاعفة. قال الإمام **القرافي** رحمه الله:

«فتكون الركعة فيها خيرًا من ثلاثين ألف ركعة، وكذلك سائر أنواع البر»[3].

من الأزمنة الفاضلةِ **يومُ عرفة**؛ يومٌ يُستحَبُّ فيه الإكثار من الطاعات، وخاصة الدعاء **«أفضلُ الدعاءِ دعاءُ يوم عرفة»**، ويوزِّع الله فيه أعظم المكافآت: **«ما من يوم أكثر من أن يُعتِقَ الله فيه عبدا أو أمة من النار من يوم عرفة»**.

من الأزمنة الفاضلة **عشر ذي الحجة** **«أفضل أيام الدنيا أيام العشر»**، ولهذا كان صاحب العمل الصالح فيها سابقا للجميع إلا المجاهد الذي بذل ماله ونفسه في سبيل الله.

---

(١) فضائل رمضان ص ٥١ – الإمام ابن أبي الدنيا – دار السلف بالرياض.
(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ٩/ ١٨٢، ١٨٣ – أبو السعود العمادي – دار إحياء التراث العربي.
(٣) الذخيرة – الإمام القرافي – ٢/ ٥٤٨ – دار الغرب الإسلامي ببيروت.



قال **ابن تيمية** رحمه الله:

«واستيعاب عشر ذي الحجة بالعبادة ليلًا ونهارًا أفضل من جهاد لم يذهب فيه نفسه وماله»[1].

من الأزمنة الفاضلة **الشتاء** حيث يطول ليله فيقومه السابق بالخيرات، ويقصر نهاره فيصومه عاشق الدرجات، ومن هنا قال **عمر بن الخطاب** رضي الله عنه:

«الشتاء غنيمة العبد»[2].

من الأزمنة الفاضلةِ الأسبوعية **يوم الجمعة**، وهو خير أيام الأسبوع «**إنَّ يوم الجمعة سيِّدُ الأيام، وأعظمها عند الله، وهو أعظم عند الله من يوم الأضحى ويوم الفطر**»؛ ولأنه خير الأيام يضاعف الله فيه ثواب الأعمال..

ففي الحديث:

«**أفضل الصلوات عند الله صلاة الصبح يوم الجمعة في جماعة**»[3].

من الأزمنة الفاضلة اليومية **وقت السَّحَر**، وهو وقت التنزل الإلهي إلى السماء الدنيا، ولا يوفَّق إلى قيام هذه الساعة إلا محبوب[4]!

ولذا كان «**أقرب ما يكون الرب من العبد في جوف الليل الآخر، فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة فكن**»[5].

اغتنام هذه الأزمنة الفاضلة يضاعِف عمرك أعمارًا كثيرة، ويجعل ثوابك أعظم،

---

(١) الفتاوى الكبرى لابن تيمية ٥/ ٣٤٢- ط دار الكتب العلمية.
(٢) حلية الأولياء ٣/ ٣١.
(٣) صحيح: رواه البيهقي عن ابن عمر كما في صحيح الجامع رقم: ١١١٩.
(٤) قال **ابن بطال**: «الدعاء في ذلك الوقت مجاب، ولا يعترض على ذلك بتخلفه عن بعض الداعين لأن سبب التخلف وقوع الخلل في شرط من شروط الدعاء، كالاحتراز في المطعم والمشرب والملبس، أو لاستعجال الداعي، أو بأن يكون الدعاء بإثم أو قطيعة رحم، أو تحصل الإجابة ويتأخر وجود المطلوب لمصلحة العبد، أو لأمر يريده الله». فتح الباري ٣/ ٣١.
(٥) صحيح: رواه الترمذي والنسائي والحاكم عن عمرو بن عبسة كما في صحيح الجامع رقم: ١١٧٣.



وهذا من البركة الخفية، وعلامات محبة الله لعبده، وهي من أعظم العطية.

قال **الغزالي** رحمه الله في الإحياء:

«فإن الله سبحانه إذا أحبَّ عبدًا استعمله في الأوقات الفاضلة بفواضل الأعمال، وإذا مقَتَه استعمله في الأوقات الفاضلة بسيئ الأعمال؛ ليكون ذلك أوجع في عقابه وأشد لمقته لحرمانه من بركة الوقت، وانتهاكه حرمة الوقت»[1].



حاسِب ☺	حاسِب ☹	الدرجة	درجة الأزمِنة الفاضلة (يوم الجمعة نموذجا)
		ادعُ	ساعة الإجابة
		رتِّل وتدبَّر	سورة الكهف
		امشِ للصلاة	المشي وعدم الركوب
		بكِّر	التبكير إلى الصلاة
		اغتسِل	غسل الجمعة
		صلِّ الفجر	صلاة فجر الجمعة

قال رسول الله ﷺ:
«من غسَّل يوم الجمعة واغتسل، وبكَّر وابتكر، ومشى ولم يركب، ودنا من الإمام، واستمع ولم يلغُ، كان له بكل خطوة أجر سنة: صيامها وقيامها».

(١) محاسن التأويل ٥/ ٤١٣ – محمد جمال الدين القاسمي – ط دار الكتب العلمية.



3 دركة الأزمنة الفاضلة!

دركة تهوي

إن عصيت ربك في هذه الأزمنة المباركة، ولذا قال الله ﷻ في شأن الأشهر الحُرُم:

﴿فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ [التوبة ٣٦].

وإنما سماها الله حُرُمًا لمعنيين: أحدهما تحريم القتال فيها، والثاني لتعظيم انتهاك الحرمات فيها، فاستنبطوا من ذلك أن بعض الأشهر -ومنها الأشهر الحُرُم- آكد وأبلغ في الإثم من غيرها.

قال ابن عباس رضي الله عنه:

«إنه تعالى اختصَّ من الأشهر أربعة أشهر جعلهن حراما، وعظَّم حرماتهن، وجعل الذنب فيهن أعظم، والعمل الصالح والأجر أعظم»(١).

وإن كان الظلم عظيمًا على كل حال، ولكن الله يعظِّم من أمره ما يشاء.

وذهبوا إلى أن تعظيم الذنب في الأزمنة الفاضلة لا يعني مضاعفتها من حيث العدد بل من جهة الكيفية، فتكون أثقل في ميزان العبد من باقي سيئاته، فلا يُضاعَف الذنب عددًا في رمضان أو عشر ذي الحجة أو يوم الجمعة، بل السيئة دومًا بواحدة، لكن سيئات الأزمنة الفاضلة أثقل في ميزان العبد مما سواها، فمن ذلك:

- ملءُ نهار رمضان بالغيبة والشتم وانتقاص الغير، ثم تضييع لياليه المباركات في مشاهدة المسلسلات التي تُسلسِل صاحبها بالشهوات بعيدًا عن الحسنات.

(١) إحياء علوم الدين ١/ ١٨٨.



- استنزاف ساعات الأسحار في ذنوب الخلوات بدلًا من خاشع الدعوات وإطالة السجدات.
- قضاء أيام عيد الأضحى في اللهو المحرم وانتهاك الحرمات مع أنها من أشرف الأيام عند الله وأغلاها لديه كما في الحديث:

«أعظم الأيام عند الله يوم النَّحْر»[1].

- الهرب في يوم الجمعة من قرآن الرحمن إلى الغناء وهو قرآن الشيطان، ومن صحبةٍ تزيد الإيمان إلى صحبة تسرقه.



(١) صحيح: رواه أحمد وأبو داود عن عبد الله بن قرط كما في صحيح الجامع رقم: ١٠٦٤.



4 درجة
الأماكن المباركة!

ترتقي درجة

إذا اغتنمت فرصة تواجدك في الأماكن المباركة كمكة والمدينة وبيت المقدس (إن كنت من أهله ومجاوريه) بالأعمال الصالحة، والتي تتضاعف فيها الحسنات، فالصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة في ما سواه، وليست الصلاة وحدها مضاعفة بل وسائر الطاعات.

قال **الحسن البصري** رحمه الله:

«صدقة درهم فيها بمائة ألف، وكذلك كل حسنة بمائة ألف»[1].

وليس بعد مكة مكان أفضل من مسجد رسول الله ﷺ حيث الصلاة فيه خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام، وقد قيل: إنَّ فضل الأعمال بالمدينة كفضل الصلاة، كل عمل بألف عمل، وبعد ذلك يأتي المسجد الأقصى الذي تعدل الصلاة فيه مائتين وخمسين صلاة فيما سواه، واسم الصلاة يتناول الفرض والنفل.

واسمعوا إلى فضل الأقصى الأسير -ردَّه الله إلينا قريبًا-:

قال رسول الله ﷺ في حديث هو **أصحُّ ما جاء في فضل المسجد الأقصى**:

«صلاة في مسجدي هذا أفضل من أربع صلوات فيه، ولنعم المُصَلَّى، وليوشِكَنَّ أن يكون للرجل مثل شطَن (هو الحبل) فرسه من الأرض؛ حيث يرى منه بيت المقدس خيرٌ له من الدنيا جميعا، أو قال: خير من الدنيا وما فيها»[2].

---

(١) موعظة المؤمنين ١/ ٦٤.

(٢) رواه الطبراني في الأوسط وأخرجه الحاكم وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي. قال الألباني: وهو كما قالا، بل قال عنه إنه أصحُّ ما جاء في فضل الصلاة في المسجد الأقصى كما في السلسلة الصحيحة حديث رقم: ٢٩٠٢.

فالإقامة بجوار المسجد الأقصى -ولو كانت في مساحة ذراع في ذراع- تعدل الدنيا وما فيها بل إنها خيرٌ من الدنيا وما فيها، وذلك لما فيها من الشَّرف والثواب.

فماذا عن غير مجاور هذه الأماكن الثلاثة؟!

من أشرف الأماكن المساجد، حيث ترتقي درجة بِبُعدها عنك مع كثرة مشيك إليها والتبكير إلى الصلاة فيها، ثم بالمكوث والاعتكاف فيها.

قال رسول الله ﷺ:

«ما توطَّن رجل مسلم المساجد للصلاة والذكر إلا تبشبش الله له من حين يخرج من بيته؛ كما يتبشبش أهل الغائب بغائبهم إذا قدِم عليهم»[1].



4 دركة الأماكن المباركة

دركة تهم

بارتكابك الذنب في الأماكن المقدسة، فقد توعَّد الله بشدة الوعيد من وقع في سيئات الحرم فقال:

﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج ٢٥].

وإن كان الهَمُّ بالسيئة في الحرم يلحقه هذا الوعيد، فكيف بفعلها؟

وكلمة إلحاد تعُمُّ كل ميل إلى معصية، ونكَّر كلمة إلحاد إشارة إلى أن العبد إذا عصى فيه أي معصية فإنه داخلٌ في هذا الوعيد، والسبب في هذا أبانه وشرحه خير شرح ابن القيِّم رحمه الله وهو يزوِّد قلوبنا بجرعة شافية من (زاد المعاد).

(١) حسن: رواه ابن ماجة والحاكم عن أبي هريرة كما في صحيح الجامع رقم: ٥٦٠٤.



قال رحمه الله:

«فالسيئة في حرم الله وبلده وعلى بساطه آكد وأعظم منها في طرف من أطراف الأرض، ولهذا ليس من عصى الملك على بساط ملكه كمن عصاه في الموضع البعيد من داره وبساطه»[١].

ومن هنا قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه مخاطبًا أهل مكة:

«يا أهل مكة..

اتقوا الله في حرمكم هذا..

أتدرون من كان ساكن حرمكم هذا من قبلكم؟

كان فيه بنو فلان فأحلّوا حرمته فهلكوا، وبنو فلان فأحلوا حرمته فهلكوا، حتى عدّ ما شاء الله، ثم قال: والله لأن أعمل عشر خطايا بغيره أحبَّ إليَّ من أن أعمل واحدة بمكة»[٢].

والأماكن الفاضلة كما تشمل الحرم والمكي والنبوي والمقدسي؛ فإنها تشمل كذلك المساجد وهي بيوت الله وأفضل بقاع الأرض، فلا يليق فيها ارتكاب المخالفات.



(١) شعب الإيمان للبيهقي ٧/ ٥٦٧.
(٢) شعب الإيمان للبيهقي ٧/ ٥٦٧.



5 درجة الإســــــرار



الأكثر إخلاصًا هم الأعلى درجة..

يتقدم المخلص وإن تأخَّر!

يعلو غيره درجات وإن تأخر إسلامه أو اهتداؤه، فالسبق غدًا ليس لمن تقدَّم وسبق بل لمن أخلص وصدق!

وتفاوت الدرجات بأعمال القلوب أكثر من تفاوتها بأعمال الجوارح..

ولذا يتقدَّم أصحاب السرائر يوم القيامة ويرتقون الدرجات، وسيظهر ذلك غدًا جليًا على كفتي الميزان كما قال **علي بن أبي طالب** رضي الله عنه:

«من كان ظاهره أرجح من باطنه: خفَّ ميزانُه يومَ القيامة، ومن كان باطنه أرجح من ظاهره: ثقل ميزانه يوم القيامة»[١].

ولذا قال الإمام **مالك** رحمه الله معدِّدًا فوائد عمل السر وطاعات الاخفاء:

«من أحب أن يُفتَح له فُرجِة في قلبه، وينجو من غمرات الموت، وأهوال يوم القيامة، فليكن في عمله في السر أكثر منه في العلانية»[٢].

ولقد عمل الإمام **مالك** رحمه الله بما دعا إليه، فروى عنه **ابن وهب** رحمه الله:

«وكان أكثر عبادة **مالك** في السر، بالليل والنهار حيث لا يراه أحد»[٣].

لكن الأمر يختلف من الفريضة إلى النافلة..

---

(١) موسوعة ابن أبي الدنيا ١/ ١٧٧.
(٢) ترتيب المدارك وتقريب المسالك ٢/ ٥٢ -أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي- ط مطبعة فضالة.
(٣) ترتيب المدارك وتقريب المسالك ٢/ ٥٣.

أما الفريضة فلا خِلاف أنَّ إظهارها أفضـل، كصلاة الفرض والزكاة والحج وسائر فروض الشريعة؛ لأن المرء يُحْرِزُ بها إسلامه، وأما النافلة فالسر أولى!

ترتقي درجة

بإسرار صدقتك لتروي بذلك بذرة الإخلاص في قلبك، وتستعين بها على توحيد همِّك (إذ في السِّرِّيَّة سدٌّ لكلِ ذرائع الرِّياء، ولذلك كان السِّرُّ خيرا للمُعطي، إذ فيه احتياطٌ لنفسه من أن يدخلها داءُ الإنفاقِ وهو الرِّياء، فإذا كان في الجهر فائدةُ الثناء، ففي السر فائدة الاحتياط من الرِّياء، وذلك خيرٌ من كل ثناء)[١].

ولعل صدقة سِرٍّ مِن مخلصٍ تعلو غيرها من عبادات علنية يقوم بها غيره ممن نيته مدخولة. كان **بِشْر بن الحارث** رضي الله عنه يقول:

«الصدقة أفضل من الحج والعمرة والجهاد! ثم قال:

ذاك يركب ويرجع ويراه الناس، وهذا يُعطي سرا لا يراه إلا الله عز وجل»[٢].

المتصدِّق المخلص يرتقي عند ربه لأنه آثر رضاه وراعى نظره إليه، غير آبه بنظر الخلق، فلا تنال كلمات ذمِّهم منه شيئا، ولا تضيف إليه كلمات المدح شيئا، وممن بلغ هذه الدرجة **علي بن الحسين** رحمه الله.

قال **شيبة بن نعامة** رحمه الله:

كان **علي بن الحسين** يُبخَّل، فلما مات وجدوه يقوت مائة أهل بيت بالمدينة!

قال **الذَّهبيُّ** رحمه الله:

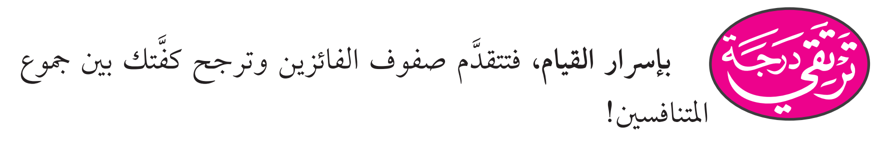
«قلت ولهذا كان يبخَّل، فإنّه كان ينفق سِرًّا ويظنُّ أهله أنه كان يجمع الدَّراهم»[٣].

هذا رجلٌ اتُّهِم بالبخل، فلم يغضب على ما اتهِم به بالباطل، بل لم يدافع عن نفسه

(١) زهرة التفاسير لأبي زهرة ٢/ ١٠١٩– دار الفكر العربي– القاهرة.
(٢) حلية الأولياء ٨/ ٣٣٩، وصفة الصفوة ١/ ٤٧٧.
(٣) سير أعلام النبلاء ٤/ ٣٩٤.



ويبرِّئها، لأنه لا يأبه بذمِّ الناس له ما دام عند الله مرضيا، وهذه ذروة الإخلاص وقمة التجرد.



بإسرار القيام، فتتقدَّم صفوف الفائزين وترجح كفَّتك بين جموع المتنافسين!

قال **عبد الله بن مسعود** رضي الله عنه في فضل قيام الليل:

«فضل صلاة اللَّيل على صلاة النَّهار كفضل صدقة السِّرِّ على صدقة العلانية»[1].

ومن ثواب إسرار صلاتك واختفائك في كهف محرابك: أن يضاعِف الله ثوابَ نافلتك أضعافًا مضاعفة، كما في الوعد النبوي:

«صلاة الرجل تطوعا حيث لا يراه الناس تعدل صلاته على أعين الناس خمسا وعشرين»[2].

وقد ورد الحديث الصحيح ليدلِّل على ارتباط صلاة السر ارتباطًا مباشرًا برفعة الدرجات في الجنة، ففي حديث اختصام الملأ الأعلى أن الله سأل نبيه ﷺ في اختصام الملائكة في الدرجات، فقال له: وما هن؟ فقال رسول الله ﷺ:

«إطعام الطعام، ولين الكلام، والصلاة والناس نيام»[3].



بإسرار دعائك كما قال **حسَّان بن عطِيَّة** رحمه الله:

«يفضل دعاء السِّرِّ على دعاء العلانية سبعين ضعفا»[4].

---

(١) مختصر قيام الليل ١/ ٦٢- محمد بن نصر المروزي - حديث أكادمي، فيصل اباد - باكستان.
(٢) صحيح: صحيح الجامع رقم: ٣٨٢١.
(٣) صحيح: رواه أحمد عن معاذ بن جبل كما في مشكاة المصابيح رقم: ٧٤٨.
(٤) حلية الأولياء ٦/ ٧٣.

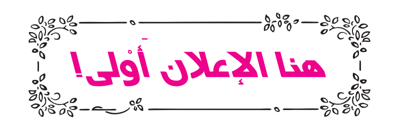
ترتقي درجة بإسرار صومك.. فلا يعلم بصومك أحد، وفي هذا صيانة عملك من الرياء؛ لذا قال **إبراهيم بن أدهم** رحمه الله موصيًا كل من لقي صائمًا:

«لا تسأل أخاك عن صيامه، فإنه إن قال: أنا صائم فرحت نفسه بذلك، وإن قال: أنا غير صائم حزنت نفسه، وكلاهما من علامات الرياء!»[1].

ترتقي درجة بإسرارك في الجهاد.. مع أن الجهاد ذرة سنام الإسلام، إلا أن عاشق الدرجات يريد درجة فوق درجته، ورِفعة تتسامى فوق رِفعته! فيُعطِّر جهاده بإخلاص، ويتقدَّم غيره من المجاهدين بإسرار، ولذا كان العالم الرباني المجاهد **عبد الله بن المبارك** رضي الله عنه يضع اللثام على وجهه في الجهاد كي لا يُعرَف! ولذا شهد له إمام أهل السنة الإمام **أحمد بن حنبل** رحمه الله:

«ما رفَع الله **ابن المبارك** إلا بخبيئة كانت له»[2].

اللهم ارفع مقامنا لديك بسريرة لنا لا تخفى عليك!



حال الفرد:

قد يكون إعلان العمل مُهلِكا لصاحبه أو قد يكون منجم ثواب له، ففي حالة ضعيف الإيمان حديث الالتزام ربما كان الإعلان عن العمل دافعا إلى الرياء، وأما في

(١) تعطير الأنفاس من حديث الإخلاص ١/ ٢٤٥، ٢٤٦ – ط دار العفاني.

(٢) صفة الصفوة ٤/ ١٤٦ فأين هذا من جنود فسد دينهم ونياتهم. قال فيهم **الذهبي**: وفي نفوس المجاهدين مخبئاتٌ وكمائن من الاختيال وإظهار الشجاعة ليقال: فلان شجاع وفلان جريء، ولبس القراقل المذهبة، وهي نوعٌ من الثياب يستخدمها العسكر، والخوذ المزخرفة، والعدد المُحَلاة على نفوسٍ متكبرة، وفرسانٍ متجبِّرة، ويضاف إلى ذلك إخلالٌ بالصلاة، وظلمٌ للرعية، وشربٌ للمسكر فأنى ينصرون وكيف لا يخذلون؟!!

حالة قوي الإيمان فيكون الإعلان فرصة ثمينة لحصد ثواب اقتداء الناس واهتدائهم بها فعلته وأعلنته، فالذي يسبح بالكاد لا يستطيع إنقاذ غيره، ولو فعل لغرق معه، وأما السبَّاح الماهر فهذا ينجو وينقذ غيره معه.

حال المحيط:

وقد يكون الأَوْلى في مكان عملك أن تعلن عن طاعتك تشجيعا لغيرك على صوم أو صدقة أو غيرهما، فينشط كسول، وينهض نؤوم.

وعندها يكون ثواب الإعلان أغلى وفي الدرجات أعلى.

حال الأمة:

قد تنزل بشعب من شعوب أمتنا نكبة يحتاج معها لإغاثة عاجلة، فيكون الإعلان عن صدقة سخية محفِّزا للبقية وداعمًا للقضية.

وخذها قاعدة:

الإسرار بأعمال السِّرّ أوْلى في حالة ضعيف القلب الذي لا يأمن على نفسه الرِّياء.

والإعلان عنها مع مجاهدة النَّفس من خطرات الرِّياء أوْلى للقوي الذي يأمن الرِّياء بقصد الاقتداء.

وأعاد صياغتها في عبارة أبلغ **سهل بن عبد الله** رحمه الله:

«اطلبوا من السِّرِّ النِّية بالإخلاص، ومن العلانية الفعل بالاقتداء، وغير ذلك مغاليط»[1].

لكن في كل الأحوال!

لابد أن يكون لك قسطٌ من عبادة السِرِّ كحدٍّ أدنى لا تتنازل عنه مهما انشغلت أو

(١) شعب الإيمان ٩/ ١٨٢.



اشتهرت، ولذا أوصانا **الزبير بن العوّام** رضي الله عنه:

«من استطاع أن تكون له خبيئة من عمل صالح فليفعل»[1].



نية المنافسة قد تؤخّر!

ولأن دقة ميزان يوم القيامة ذرِّيَّة ﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ﴾ [الأنبياء٤٧]، فلذا كان التفاضل قائمًا بين النوايا وإن كانت كلها صالحة، لعلَّ بعضها يكون أرجح من بعض!

قال **عمر بن الخطاب** رضي الله عنه يوم تبوك: اليوم أسبق **أبا بكر**، فأتى ماله فقسمه نصفين، نصف لعياله، وجاء بالنصف الثاني للنبي ﷺ فوضعه بين يديه، فسأله النبي ﷺ: ماذا تركت لأهلك؟ قال: تركت لأهلي مثله، ثم جاء **أبو بكر** رضي الله عنه بماله كله قائلًا: تركت لهم الله ورسوله، فنظر إليه **عمر** وقال: والله لا سابقت **أبا بكر** بعد اليوم أبدًا!

قال شيخ الإسلام **ابن تيمية** رحمه الله: «ما فعله **عمر** من المنافسة والْغِبْطَة المباحة، لكن حال **الصِّديق** رضي الله عنه أفضل منه، وهو خالٍ من المنافسة مُطلقًا، لا ينظر إلى حال غيره، وكذلك **موسى** ﷺ في حديث المعراج حصل له منافسة وغبطة للنبي ﷺ حتى بكى لما تجاوزه النبي ﷺ فقيل له: ما يبكيك: فقال: (أبكي، لأن غلامًا بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتي) أخرجاه في الصحيحين.

وعمر رضي الله عنه كان مشبهًا **بموسى**، ونبينا حاله أفضل من حال **موسى**، فإنه لم يكن عنده شيء من ذلك»[2].



المنافسه مباحة بل محمودة.. لكن أن يكون الله غايتك ورضاه حافزك

---

(١) تلبيس إبليس ١/ ١٢١.
(٢) أمراض القلب وشفاؤها ١/ ١٧ بتصرف - ابن تيمية الحراني الحنبلي - المطبعة السلفية - القاهرة.



إلى النشاط ليس كأن تراقب من سبقك ثم تتقدم.



- من صام الاثنين والخميس وهو ينظر إلى أخيه منافسا له في الخير.. ليس كمن صام اقتداء بنبيه وطاعة لربه وطمعا في رضوانه..
- من أنفق غيرةً ممن سَبَقه بِبَذل ليس في منزلة من أنفق طواعيةً لله ورسوله.
- من واظب على تلاوة القرآن حبا فيه وتعلقا به ليس كمن غار من صاحبٍ له يختم مرة من بعد مرة.

5 دركة الإشهسار

دركة تمهيد

إذا أشهرت عملك بقصد الرياء، فإن الرجل أذا أفشى عمله الصالح قاصدا متعمِّـدا أن يـراه الناس؛ فقد وقع في فتنـة خاف منها رسول الله ﷺ، واعتبرها أشد فتنةً عليه من الدجال! فقد قال النبي ﷺ يومًا لأصحابه:

«ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟ الشِّرك الخفي: أن يقوم الرجل فيصلي، فيُزيِّن صلاته لما يرى من نظَر رجل»(١).

والرياء من أضر أمراض النفس وبواطن مكائدها، ويُبتَلى به العلماء والعباد والسابقون على طريق الآخرة، فظنوا حياتهم بالله ولله، وإنما تقودهم هذه الشهوة الخفية، وقد أثبتوا أسماءهم في سجلات المنافقين، وهم يظنون أنفسهم عند الله من المقرَّبين، وهي مكيدة لا يسلم منها إلا الصديقون.

(١) حسن: رواه ابن ماجة عن أبي سعيد كما في السلسلة الصحيحة رقم: ١٧٤٥.

الرياء يحبط العمل الصالح، ويجعل تعب العامل هباء منثورا، وذلك أن (عمل المرائي بصلة كلها قشور، المرائي يحشو جراب الزوادة رملا يثقله في الطريق وما ينفعه)[1]، بل وتقدِّمه أعمال الرياء إلى أول صفوف أهل النار ليكون من أوائل من تُسعَّر بهم النار يوم القيامة.

اطلبْ وجه الله في كل ما أنت صانع، وإلا فعملُكَ كله ضائع.

وقد يكون المرائي عالما يستنقذ الناس من النار فإذا به يرِدها، وقد حذَّر النبي ﷺ من انحراف نية العالم، وكيف أنها تحوِّل بضاعة الجنة التي في يديه إلى بضاعة تورده النار، ومن غنيمة أخروية إلى مغرم ناري!

قال رسول الله ﷺ:

«من ابتغى العلم ليُباهي به العلماء أو يُماري به السفهاء أو تُقبِل أفئدة الناس إليه، فإلى النار»[2].

فمن كانت سريرته أفضل من علانيته فذلكم الفضل، ومن كانت سريرته مثل علانيته فذلك العدل، وأما من كانت سريرته دون علانيته فذلك الجور.

إذا السِّرُّ والإعلان في المؤمن استوى ... فقد عزَّ في الدارين واستوجب الثنا

فإن خالف الإعلان سِرًّا فما له ... على سعيه فضل سوى الكدِّ والعنا

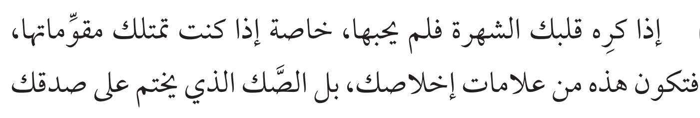


(١) بدائع الفوائد ٣/ ٢٣٦.

(٢) حسن: رواه الحاكم والبيهقي عن كعب بن مالك كما في صحيح الجامع رقم: ٥٩٣٠.



6 درجة
كراهية الشهرة!





إذا كرِه قلبك الشهرة فلم يحبها، خاصة إذا كنت تمتلك مقوِّماتها، فتكون هذه من علامات إخلاصك، بل الصَّك الذي يختم على صدقك ويبرهن عليه.

قال **إبراهيم بن أدهم** رحمه الله:

«ما صدَق الله عَبْدٌ أحبَّ الشُّهرة»[1].

ولذا كانوا يكرهون أن توطأ أعقابهم، أي يسير الناس خلفهم في ما يشبه مواكب الاستقبال والوداع، فلما رأى **طلحة بن عبيد الله** رضي الله عنه قوما يمْشون خلفه نحوا من عشرة خاف على نفسه العُجْب والرياء، فنهاهم عن اتباعه كي لا يفتنوه، ونهرهم قائلا:

«ذِبَّانُ طَمَعٍ، وفَراشُ نَارٍ»[2].

وليس فقط كراهية الشهرة بل الخوف من الشهرة! يخاف أن يكون مقامه عند الناس أعلى من مقامه عند الله، ويخشى أن يتشبَّع بما ليس فيه فيكون كلابس ثوبي زور! سئل **ذو النون المصري** رحمه الله:

متى يعلم العبد أنه من المخلصين؟ قال:

«إذا بَذَل المجهودَ في الطاعة، وأحبَّ سقوط المنزلة عند الناس»[3].

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية ٨/ ٣١.
(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في (التواضع) برقم (٥٠) وذكره الذهبي في السير ١/ ٣٥.
(٣) تنبيه المغترين ص ٢٦ – عبد الوهاب الشعراني- ط المكتبة التوفيقية.



لكن ألا يتعارض هذا مع قول ربنا في دعاء الصالحين:

﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان ٧٤].

والجواب:

كلا..

فالشهرة في حد ذاتها غير مذمومة، لكن طلبها وحبها وحرص القلب عليها هو المذموم.

وإلا فإن الأنبياء هم أشهر الناس، وكذلك كثير من الدعاة والمصلحين، لكن بغير تكلف ولا تصنع ولا حرص منهم.

ومما يعينك على بلوغ هذه الدرجة أن تستشعر نظر الله لك في جميع الأحوال، وهل يرضى عنك في هذا الموقف أم لا، وما فائدة إعجاب الناس بك إذا أبغضك ربك؟! وما يضرُّك بُغضهم إن أحبك؟!

وقد يحبُّ المخلص الشهرة لا لإعلاء قدر نفسه بل لإعلاء قدر دعوته ونشر مبادئه، لكن لهذا المخلص علامة.. ذكرها الإمام **الذهبي** رحمه الله في السير:

«علامة المخلص الذي قد يحب شهرة ولا يشعر بها، أنه إذا عوتب في ذلك؛ لا يحْرَد (يغضب) ولا يُبرِّئ نفسه، بل يعترف ويقول: رحم الله من أهدى إليَّ عيوبي، ولا يكن معجبا بنفسه، لا يشعر بعيوبها، بل لا يشعر أنه لا يشعر، فإن هذا داءٌ مزمن»(١).

ومن هؤلاء المخلصين من ذكره **ابن عقيل** رحمه الله وهو يتحدَّث عن بركات إخلاص **أبي إسحاق الفيروزبادي** رحمه الله والذي جذب إليه قلوب الناس، فاشتهر رغما عنه:

«لا يُخرِج شيئا إلى فقير إلا أحضر النية، ولا يتكلم في مسألة إلا قدَّم الاستعانة بالله

---

(١) سير أعلام النبلاء ٧/ ٣٩٣.



وإخلاص القصد في نصرة الحق دون التزين والتحسين للخلق، ولا صنَّف مسألة إلا بعد أن صلى ركعات، فلا جرَم أن شاع اسمه واشتهرت تصانيفه شرقا وغربا..هذه بركات الإخلاص»[1].



كراهية الرئاسة!

ومن كراهية الشهرة كراهية الرئاسة، فالمخلص يؤثر العمل الصامت، ولا يحب أن يتبوَّأ منصبا يشتهر به بين الناس، وتأنف نفسه من الدعايات والإعلانات.

وكما أن الجذر الضارب في أعماق الأرض به حياة الشجرة، فكذلك المستتر إخلاصا بمنزلة الجذر من الشجرة، فبه حياة الكيانات والجماعات، وهذا لا يبالي في أي مكان كان.. فوق السطح أو تحته.. قائدًا كان أو جنديًا.

ولا يبالي إن صار جنديا بعد أن كان قائدًا كما فعل **خالد بن الوليد** رضي الله عنه حين عُزِل مع **أبي عبيدة** رضي الله عنه..



عُصبة تنافس!



كان **عبد العزيز عطية** ناظر مدرسة المعلمين بدمنهور في نفس الوقت الذي كان فيه **حسن البنا** تلميذا فيها، وتمر الأيام، وينشئ الإمام دعوته المباركة، ويصبح الأستاذ **عبد العزيز عطية** مسؤولها الأول في الإسكندرية؛ ليتتلمذ الأستاذ على يد تلميذه، ويفتخِر بعدها بين تلامذته قائلاً: أنا تلميذ **حسن البنا**!

(١) بدائع الفوائد ٣/ ١٧٥.



6 دركة حب الشهرة!



إن ارتديت ثوب شهرة!

ففي الحديث:

«من لِبس ثوب شهرة ألبسه الله يوم القيامة ثوبا مثله، ثم يُلهَب فيه النار»[(١)].

وثوب الشهرة هو ما لا يَحِل لبسه كالحرير ومثله، أو ما يقصد به صاحبه التفاخر والكِبْر، أو يتَّخذه حتى المتديِّن ليُشهِر نفسه بين الناس بالزهد والورع، فيكون ممن طلب الدنيا بالدين، وقد قيل:

«استجرار الدنيا بالمعازف أهون من استجرارها بالمصاحف»[(٢)].

ويدخل في الشهرة غير الثياب مثل المركبات والممتلكات إن قُصِد بها تحصيل الشهرة..

فقد قال شَهْر بن حوْشَب ﵀:

«من ركِب مشهورا من الدواب، ولبِس مشهورا من الثياب، أعرض الله عنه وإن كان كريما»[(٣)].

ويدخل في المذموم المنهيِّ عنه ما أدى لنفس النتيجة، وهو ثوب الشهرة المعنويِّ من أيِّ نوع كان، كثوب التَّقوى، أو ثوب العلم، أو ثوب الزُّهد، أو الورَع، أو أي صفة يتدثَّر بها الإنسان بين الناس تسبِّب له شهرة يقصدها، ويتعمَّد أن يراه الناس عليها.

---

(١) حسن: رواه أبو داود وابن ماجة عن ابن عمر كما في صحيح الجامع رقم: ٦٥٢٦.

(٢) فيض القدير ٦/ ٢٥٤.

(٣) سير أعلام النبلاء ٥/ ٢٢٠. قال **الذهبي** مشيرا إلى أهمية النية: قلت: من فعله ليعز الدين، ويُرغِم المنافقين، ويتواضع مع ذلك للمؤمنين، ويحمد رب العالمين، فحسنٌ، ومن فعله بذخا وتيها وفخرا؛ أذله الله وأعرض عنه، فإن عوتب ووعظ فكابر وادعى أنه ليس بمختال ولا تيَّاه، فأعرِضْ عنه، فإنه أحمقٌ مغرورٌ بنفسه.



قال الإمام **البيهقي** رحمه الله:

«كلُّ شيء صيَّر لصاحبه شهرة، فحقُّه أن يُجْتَنَب»(١).

أما من اشتهر بعلمه وصلاحه، ونيَّتُه صالحة وعمَلُه خالصٌ، فهو خارج من هذا الذمِّ مع وجوب تفقُّده لحال قلبه على الدوام وإلا فسد.

كان الصحابة يفِرُّون من الشُّهرة خوفا على إخلاصهم، فهذا **بُريدة بن الحَصيب الأسلمي** رضي الله عنه يقول:

«شهدتُ خيبر، وكنت فيمن صعد الثُّلْمة، فقاتلتُ حتَّى رُئِي مكاني، وعليَّ ثوبٌ أحمر، فما أعلم أنِّي ركبتُ في الإسلام ذنبًا أعظم عليَّ منه، أي: الشُّهرة!»(٢).

وقد رأى **إبراهيمُ بن أدهم** رحمه الله أنَّ عاشق الأضواء ومؤثر العلن على الخفاء غير صادق في مسعاه، ففضحه قائلا:

«ما صدَقَ اللهَ عبدٌ أحبَّ الشُّهرة»(٣).

ونفى عنه التقوى **بشر بن الحارث الحافي** رحمه الله، فقد قال **محمد البغدادي**: زرتُ **بِشْر بن الحارث** فقعدت معه مليا، فما زادني على كلمة قال:

«ما اتقى الله من أحبَّ الشهرة»(٤).

وقال وهو يبيِّن علامة واضحة من علامات حب الشهرة:

«وإذا رأيتَ الرَّجُل إذا اجتمعوا إليه في موضعٍ لَزِمَه، واشتهى ذلك، فهو يحبُّ

---

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود ١١/ ١٣١- العظيم آبادي- ط دار الكتب العلمية.

(٢) سير أعلام النبلاء ٢/ ٤٧٠. قال **الذهبي** معلِّقا: «بلى، جُهَّال زماننا يعُدُّون اليوم مثل هذا الفعل من أعظم الجهاد، وبكُلِّ حالٍ فالأعمال بالنيات، ولعل **بريدة** رضي الله عنه بإزرائه على نفسه، يصير له عمله ذلك طاعة وجهادا! وكذلك يقع في العمل الصالح، ربما افتخر به الغِرُّ، ونَوَّه به، فيتحول إلى ديوان الرياء».

(٣) تاريخ الإسلام ١٠/ ٤٩- شمس الدين الذهبي- ط دار الكتاب العربي.

(٤) تاريخ الإسلام ١٠/ ٤٩.

الشُّهرة»(١).

ومن ضيَّع الإخلاص وأحب الشهرة ارتحلت محبة الله من قلبه ولابد؛ وبدلًا من أن يكون رضا الله هو الذي يحرِّكه فإذا بها الشهرة وعشق الأضواء، ولذا قال ذو النون المصري رحمه الله:

«فإذا أحبَّ الحكيم الرئاسة زال حب الله من قلبه لما غلب عليه من حب ثناء المستمعين له، فصار لا يلفظ بمسموع ينفع للذي غلب على قلبه من حب تبجيل الناس له»(٢).

ومن طرائف حب الشهرة أن رجلًا يسمَّى الحسن بن أحمد بن عبد الله البغدادي رحمه الله من كُبَراء فقهاء الحنابلة، وقد رُوي عنه أنه قال:

هل ذكرني الخطيب في (تاريخ بغداد) في الثقات أو مع الكذابين؟!

قيل له: ما ذكرك أصلًا!

فقال:

«ليته ذكرني ولو مع الكذابين!»(٣).

ولذا نهى العلماء عن (الطبوليات)، وهى المسائل التي يُراد بها الشهرة، بل وجدنا النبي ﷺ في الحديث النبوي التحذيري يرسل إنذارًا شديدًا لمن تطلَّع للاشتهار وقصد بفعله لفت الأنظار:

«من أحبَّ أن يتمثَّل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار»(٤).

وهذا لارتباط حب القيام لديه بمرضٍ قلبي خطير وهو الكِبر، والذرة الواحدة من الكِبر تمنع صاحبها من دخول الجنة.

(١) تاريخ دمشق ١٠/ ٢٠٦ – ط دار الفكر.
(٢) شعب الإيمان ٣/ ٢٨٩.
(٣) سير أعلام النبلاء ١٨/ ٣٨١ – ط دار الرسالة.
(٤) صحيح: رواه أحمد وأبوداود والترمذي عن معاوية كما في صحيح الجامع رقم: ٥٩٥٧. قال **ابن بطال**: «هذا الخبر إنما ينبىء عن نهى رسول الله للذى يقام له السرور بما يفعل له من ذلك لا عن نهيه القائم عن القيام». شرح صحيح البخارى لابن بطال ٩/ ٤٣.

دركة تهوي

إذا أثَّرت شهرتك سلبًا على جمهورك ونالت من أفكارهم، فكل مشهورٍ في المجال المهنـي أو السياسي أو الاجتماعي أو الدعوي لديه اليوم جمهور يتابعه، ويتأثَّر به وبآرائه وأفعاله، وفي الغالب يكون حسابه على تويتر أو فيسبوك أو إنستجرام ملتقى الزوار؛ وكلما اشتهر كثر عدد متابعيه، وشقَّ حسابه! وإذا كنت تخشى التفريط في متابعة أبنائك وهم ثلاثة أو أربعة أو خمسة، فما ظنك إذا كان لديك آلاف المتابعين أو مئات الآلاف؟!

وفي كثير من الأحيان ينتظر هذا الجمهور منك كلمة تُدلي فيها برأي في قضية مثيرة للجدل ليحسم رأيه وفق رأيك، فتأمَّل حجم المسؤولية الملقاة على عاتقك.

إن كل كلمة قلتها، وصورة وضعتها، ومشهد نشرته.. إما لك أو عليك، في ميزان حسناتك أو سيئاتك، فمن قرأ ما كتبت أو طالعَ صورتك التي نشرت من متابعيك نِلتَ أجره أو وِزره.

يا مسكين!!

تفرح إذا كثر متابعوك، ولعلَّهم -إن لم تُخلِص نيتك وتُصلِح عملك- مهلكوك!

وفي مثل هذا المقام يحسن بكل مشهور ويجمل به أن يناجي ربه بكلمات **بشر بن الحارث** رحمه الله:

«لقد شهَرَني ربي في الدنيا، فليته لا يفضحني في القيامة»[٥].

دركة تهوي

إذا نسَبْتَ لنفسك ما ليس لك.. اشتهارا وافتخارا، فقد يستعير أحدهم كلمات غيره دون أن ينسبها لصاحبها، وذلك ليشتهر بين الناس

---

(٥) صفة الصفوة ١/ ٤٧٣.

وينتشر!

ترى هذا الآن ساريًا جاريًا في صفحات التواصل الاجتماعي، ينسخ أحدهم كلمات غيره وكأنه صاحبها، وينسبها لنفسه.. وما نيته؟! ولِمَ يفعل هذا؟

هل ليُقال عنه ويمدحه الناس! بئست النية.

وقد حدث بعض هذا مع الشيخ العلامة **عبد الفتاح أبو غدة** رحمه الله حين استغرق عشرين عامًا في تأليف كتابه القيِّم (**قيمة الزمن عند العلماء**)، ثم كان أن اقتطع منه بعض الكُتّاب فقرات كاملة دون أن يعزوها إليه وقد قام بجمعها وإخراجها، فكتب في مقدِّمة الطبعة الخامسة للكتاب كلامًا قيِّمًا معلِّقًا:

«وإنه ليسرُّني أن ينتفع هذا المحب -أحد أبنائي في الطلب والتحصيل- ويقبسه بجملته وجمهرته، وكنت أودُّ أن يذكر من أين اقتبس هذه النصوص التي ألف كتابه منها، أداء للأمانة، فقد قال العلماء: من الأمانة في العلم عزوه إلى قائله أو ناقله....، ولله دَرُّ الإمام **الشافعي** رحمه الله إذ يقول:

الحُـرُّ من راعى وِداد لحظة، وانتمى لمن أفاده لفظة»[1].



حب الظهور قصم الظهور!

يقول الأستاذ **فتحي يكن** رحمه الله متحدِّثًا عن أحد الدعاة من عشاق الشهرة:

«أذكر أن لقاء جمعني بأحد الأعضاء البارزين في حركة إسلامية.. وكان متهما بحب الأضواء والبروز الشخصي، ومن خلال المناقشة اكتشفت شرخًا مخيفًا في تربيته وبصمة سيئة في تكوينه حين ابتدرني قائلًا:

(أنا لا أنكر أن عندي تطلعات شخصية وهل يمنع الإسلام من ذلك؟!).

---

(١) قيمة الزمن عند العلماء ص ٦، ٧ - عبد الفتاح أبو غدة - ط مكتب المطبوعات الإسلامية - الطبعة العاشرة.



ثم أردف قائلًا:

(كُلُّ فردٍ في الدعوة عنده تطلعات، أو ليست عندك تطلعات؟!).

قلت له مستغربًا:

(أنا لا أفهم الإسلام هكذا.. وإنما أفهمه استخلاصا لنا من كل تطلعات الشخصية، وإنكارا لذواتنا أمام أهداف الإسلام العلية).

ثم أكملت قائلا:

(إن كان لي من تطلع فأن أرى راية الإسلام منتصرة خفاقة).

قال:

(وما المانع من أن نحقق الأمرين معًا تطلعاتنا وتطلعات الإسلام؟).

قلت:

إن ذلك يذكرني بالأعرابي الذي جاء **محمدًا** ﷺ يعرض عليه أمره ويقول: (إنني أنزل المنزل أريد وجه الله وأن يُرى موقعي)، فنزل فيه قول الله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف ١١٠]»[١].

أين صاحب هذه الدركة السافلة من درجة **الشافعي** رحمه الله الشامخة وهو يتحدَّث عن علمه قائلًا:

«وددتُ أن الخلق تعلَّموا هذا على أن لا يُنسَب إليَّ حرفٌ منه!»[٢].



(١) المتساقطون على طريق الدعوة ١/ ١٢١.
(٢) بستان العارفين ١/ ٣٠ - ط دار الريان.





7 درجة
كراهية المدح



بكراهية قلبك للمدح، فالمخلص لا يزيد في عمله مدح مادح، ولا ينقص بِذمِّ ذام.

المخلص..

الناس أبعد ما يكونون عن حدود قلبه فضلًا عن أن يغيِّروا ما فيه، ولهذا كان «**أفضل الصدقة: الصدقة على ذي الرحم الكاشِح**»[1].

والكاشِح هو أحد أقربائك الذي يضمر عداوتك، لكن استمرارك أيها المخلص في صدقتك عليه لا علاقة له من قريب أو بعيد بِحُبِّك أو بغضك له.

ولا تتغيَّر مثقال ذرة كذلك بمدح هذا الفقير أو مذمَّته لك.

ينفق المخلص على من يكرهه، ويحسن بأمواله إلى من يسيء إليه، ولا يفعل هذا إلا من ينشد رضا الله وحده، وهي خصلة ثقيلة على النفس، لكنها ثقيلة كذلك في ميزان العبد!

ولكراهية المدح علامات تتجاوز كلمات اللسان إلى مشاعر القلب وسلوك الجوارح والأركان، فقد (كان الحسن إذا أثنى عليه أحدٌ في وجهه كرِه ذلك، وإذا دعا له سرَّه ذلك)[2].

وكراهية المدح من أهم علامات الزهد!

---

(١) صحيح: رواه أحمد والطبراني عن أبي أيوب وحكيم بن حزام كما في إرواء الغليل رقم: ٨٩٢ وصحيح الترغيب ٢/ ١٥٨.
(٢) الطبقات ٧/ ١٧٧.

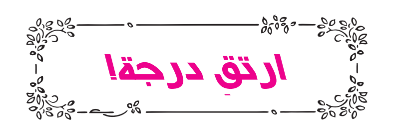




فإن غاية الزهد: طرح التعلق بما سوى الله، فمن كرِه المدح ولم يَسْعَ إليه ساقه ذلك إلى واحة الزهد.. حسنة تلد حسنات، وطاعة يكافئك الله عليها بطاعات.

قال **الأوزاعي** رحمه الله:

«الزهد في الدنيا ترك المحمدة، تعمل العمل لا تريد أن يحمدك الناس عليه»[1].



ارتقِ درجة!





(كراهية المدح) بثلاثة أعمال:

١ - أن يلهج لسانك بالدعاء عند كل مدح.

دعاك إلى ذلك **يزيد بن ميسرة** رحمه الله، فقال يوصيك:

«إذا زكّاكَ رجلٌ في وجهك فأَنكِرْ عليه واغضب، ولا تُقِرَّ بذلك، وقل: اللهمَّ لا تؤاخذْني بما يقولون، واغفر لي ما لا يعلمون»[2].

فهو يرى أنك بكراهية المدح تحمي إيمانك الذي ينال منه المدح دون أن تشعر.

٢- أن تعلم أن علامة المنافق الفارقة وصفته الملازمة: حب المدح.

قال **وهب بن منبِّه** رحمه الله:

«من خصالِ المنافقِ أن يُحِبَّ الحمدَ ويكره الذمَّ»[3].

٣- أن تتعرف على نفسك الأمّارة بالسوء، ومن أحسن الظن بنفسه فقد أساء، ومن أَمِن مكائد الشيطان وقع فيها.

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة ٧/ ٢٤١.
(٢) حلية الأولياء ٥/ ٢٤٠.
(٣) حلية الأولياء ٤/ ٤١.



كان **ابنُ محيريز** رحمه الله إذا مُدِح في وجهه قال:

«وما يُدريك؟! وما علمك؟!»[1].

وكان **عبد الله بن المبارك** رحمه الله على علو قدره في العلم والصدقة والجهاد يقول:

«يا ابن المبارك! إذا عرفتَ نفسك؛ لم يضُرُّك ما قيل فيك»[2].

ومثل ذلك ما ذكره **جعفر بن زيد العبدي** رحمه الله أن رجلا مرَّ بأحد المجالس، فأُثني عليه خيرا، فلما جاوزهم قال:

«اللهم إنَّ هؤلاء لم يعرفوني وأنت تعرفني»[3].

أخي عاشق السباق..

إذا أردت أن تعلم قدر نفسك، ومكانتها عند ربك، فليس أمامك إلا جلسة مناصحة تعقدها مع الصالحين، اليوم قبل أن تُعقَد غدًا في دارٍ أخرى! فاسأل الصالحين يخبروك، واستشر المخلصين ينفعوك!



وجهان لعملة واحدة!

إن قبول النصيحة هو الوجه الآخر المقابل لكراهية المدح والذي يدلِّل على إخلاص العبد.

وفوق قبول النصيحة: الفرح بالنصيحة.

وفوق الفرح بالنصيحة: طلب النصيحة.

وانظر كتلة الإخلاص الشامخة متمثِّلة في بَشَرٍ يمشي على الأرض وهو **أبو بكر**

(١) حلية الأولياء ٥/ ١٤٠.
(٢) المجالسة وجواهر العلم ٧/ ٣٣.
(٣) الصمت لابن أبي الدنيا ص٢٧٢.

الصدِّيق رضي الله عنه، وكيف كان قبوله للنصيحة ولو كانت غليظة شديدة، وذلك في ما أورده الحافظ ابن عساكر رحمه الله:

«جاء عيينة بن حصن والأقرع بن حابس إلى أبي بكر، فقالا:

يا خليفة رسول الله.. إن عندنا أرضا سبخة ليس فيها نخلا ولا منفعة، فإن رأيت أن تقطعناها لعلنا نحرثها ونزرعها، فلعل الله ينفع بها بعد اليوم.

فأقطعهم إياها وكتب لهما كتابا، وأشهد، وعمر ليس في القوم، فانطلقا إلى عمر ليُشهِداه، فوجداه يُصلِح بعيرا له، فقالا:

إن أبا بكر قد أشهدك على ما في هذا الكتاب.. أفنقرأ عليك أو تقرأ؟

قال: أنا على الحال التي ترياني، فإن شئتما فاقرئا، وإن شئتما فانتظرا حتى أفرغ فأقرأ.

قالا: بل نقرأه، فلما سمع ما في الكتاب تناوله من أيديهما، ثم تفل فيه فمحاه! فتذمرا وقالا مقالة شتم، فقال:

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتألفكما والإسلام يومئذ ذليل، وإن الله عز وجل قد أعز الإسلام، فاذهبا فاجهدا جهدكما؛ لا أرعى الله عليكما إن أرعيتما.

فأقبلا إلى أبي بكر وهما يتذمران، فقالا: والله ما ندري أنت الخليفة أم عمر؟!

فقال: بل هو لو كان شاء!

قال: فجاء عمر مغضبًا حتى وقف على أبي بكر فقال:

أخبرني عن هذه الأرض التي أقطعتها هذين الرجلين.. أرضٌ لك خاصة أم هي بين المسلمين عامة؟!

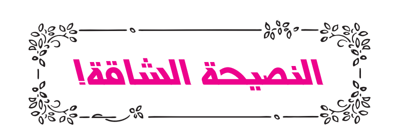
فما حملك على أن تخص هذين بها دون جماعة المسلمين؟!

قال: استشرتُ هؤلاء الذين حولي فأشاروا عليَّ بذلك.

قال: فإذا استشرت هؤلاء الذين حولك أكل المسلمين أوسعت مشورة ورضي؟!



قال أبو بكر: قد كنت قلتُ لك إنك أقوى على هذا الأمر مني، ولكنك غلبتني!»[1].



النصيحة الشاقة!

ترتقي درجة

كلما علا قدرك عند الناس، فيصير قبول النصيحة لديك أشق، وتواضعك للناصح أصعب، لكن مع هذه المشقة العظيمة الأجر العظيم، والقدر الكبير عند الله وعند الناس.

أورد الأستاذ عباس السيسي رحمه الله هذا الموقف للإمام حسن البنا رحمه الله:

«كان الشيخ محمد الحامد الحموي عالم حماة ومرشدها بلا منازع، وكان رحمه الله بحرا زاخرا بالعلم، حتى قيل له بعد اختبار الانتساب إلى الأزهر: إنك عالم لا تحتاج إلى الدراسة فيه، وفي السنة التي أنهى فيها دراسته وأوشك على العودة إلى حماة، كتب رسالة خاصة إلى الإمام الشهيد حسن البنا قال فيها: لقد حضرت كل دروس الثلاثاء، وأحصيت عليك إحدى عشرة غلطة بأسانيدها.. وأورد له الإحدى عشرة غلطة..

ترى بماذا أجاب حسن البنا على ما جاء بهذه الرسالة؟

في درس الثلاثاء الذي أعقب استلام هذه الرسالة، والإخوان والشيخ الحامد والجميع قد احتشدوا في لقائهم هذا الأسبوعي ينتظرون في شوق أن يعيشوا مع الأستاذ البنا في حلقة جديدة من نظراته في القرآن، وإذا بفضيلته يعتذر عن متابعة ما بدأه من حلقات ويقول:

وصلتني رسالة كريمة من أخ حبيب كريم تتعلق بأمور ومسائل علمية تكلمت بها في هذا المكان، فمكان الإجابة عليها في هذا المكان، وتلا رسالة الشيخ الحامد إليه، ثم

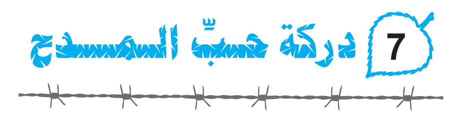
---

(١) تاريخ دمشق ٩/ ١٩٥، ١٩٦- الحافظ ابن عساكر- ط دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

أخذ يستعرض النقاط كلها، ثم قال:

في تسع مسائل الحق مع فضيلة الأستاذ الشيخ **محمد الحامد** وغفر الله لي وجزى الله عنا شيخنا خير الجزاء، والمسألة العاشرة فيها قولان وحجة كل قول منهما لها وزنها المعتبر، أما في المسألة الحادية عشرة فأظن أن أستاذنا قد فاته فيها الدليل.

بهذه الإجابة الخالصة لله المتجردة من أهواء النفس.. بهذه الربانية.. ذاب قلب **محمد الحامد** حبا **لحسن البنا**»[١].



7 دركة حبّ المديح

دركة تمهيد

إذا غزا حب المدح قلبك وتمكَّن منه، فقد قال تعالى:

﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران ١٨٨]

وتشمل هذه الآية طلب الرجل المدح بما ليس فيه، ولو أحب المدح بما فيه لكان ذلك كِبرا، فكيف لو لم يكن فيه؟! إذن لجمَع مع الكِبْرِ كذبًا، ظلمات بعضها فوق بعض، وذنوب متتاليات تهوي بصاحبها إلى أسفل الدَّركات.

كان **عمر بن عبد العزيز** رضي الله عنه شديد التحذير من مدحه حتى كتب مرَّة إلى أهل موسم الحج كتابًا يُقرأ عليهم ينهاهم فيه عن مدحه، وفيه:

«ولا تحمدوا على ذلك كُلِّه إلا اللهَّ، فإنَّه لو وكلني إلى نفسي كُنتُ كغيري»[٢].

إن تأثرك بمدح الناس ما هو إلا عرضٌ لمرض، ورأس جبلٍ جليدي يُخفي أسفله

---

(١) تاريخ دمشق ٩/ ١٩٥، ١٩٦ – الحافظ ابن عساكر – ط دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
(٢) حسن البنا مواقف في الدعوة والتربية ص ٨١ – عباس السيسي.

أضعاف ما يُظهِر، وهو ما اكتشفه طبيبُ القلوب **الحسين بن زياد** رحمه الله، فقد شخَّص الداء ببراعة ووصف معه الدواء، فقال:

«إن كنت بليغًا قالوا:

ما أبلغه وأحسن حديثه وأحسن صوته، فيُعجِبك ذلك فتنتفخ!

وإن لم تكن بليغًا قالوا:

ليس يُحسِن يُحدِّث، وليس صوته بحسن، أحزنك وشقَّ عليك، فتكون مرائيًا!

إذا جلستَ فتكلَّمت ولم تُبالِ من ذمَّك ومن مدحك، فتكلَّم»(١).



جارتان لا تجتمعان!

فلا تجتمع محبة حمد الخلق ومحبة حمد الخالق في قلب عبد إلا أن تطرد إحداهما الأخرى! ولذا كتَب **وهب بن مُنبِّه** رحمه الله إلى **مكحول** رحمه الله عالم أهل الشام:

«إنك قد أصبتَ بما ظهر من علم الإسلام عند الناس محبة وشرفا، فاطلب بما بطن من عملك عند الله محبة وزلفى، واعلم أن إحدى المحبتين تمنع الأخرى»(٢).

يشير إلى أن العلم يرفعك عند الناس لكن لا يرفعك عند الله إلا إن عملت به، وإلا كنت عند الناس مرضيًا وعند ربك -عافاك الله- مخزيًا.

والمخدوع بالمدح مُعاقَب! وليت عقوبته كانت في بدنه، بل في أغلى ما يملك: قلبه! قال **ابن القيم** رحمه الله في كلامٍ له عن عقوبات الذنوب ومنها غياب الإخلاص:

«فسبحان الله..

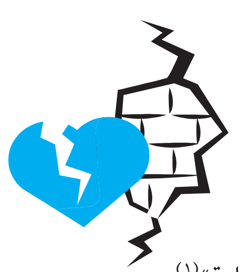
كم من قلبٍ منكوسٍ وصاحبه لا يشعر!

---

(١) حلية الأولياء ٨/ ٩١.

(٢) البداية والنهاية ٩/ ٢٩١.





وقلبٍ ممسوخٍ وقلبٍ مخسوف به!

وكم من مفتونٍ بثناء الناس عليه،

ومغرورٍ بستر الله عليه،

ومستدرجٍ بنعم الله عليه؛

وكلُّ هذه عقوبات وإهانة، ويظن الجاهل أنها كرامة»[١].



بـــراءة!

ولا يدخل في هذا الذمِّ مدح الناس للعبد على عمل الخير دون قصد منه أو حرص عليه، ولذا أورد الإمام **النووي** رضي الله عنه الحديث التالي في كتابه رياض الصالحين باب **(ما يُتوهَّم أنه رياء وليس هو رياء)**:

عن **أبي ذر** رضي الله عنه قال:

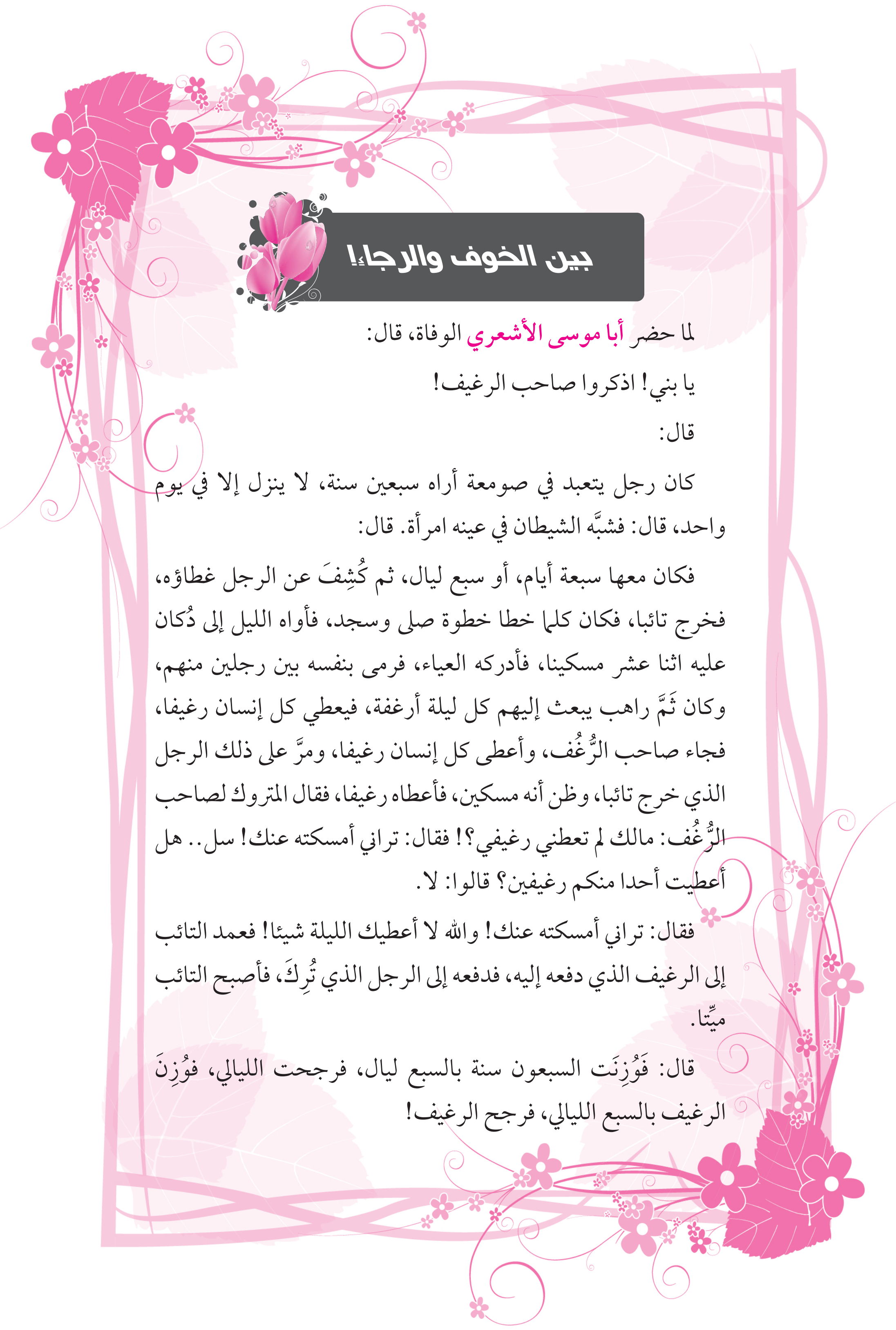
يا رسول الله، أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير، يحمده الناس عليه؟!

قال صلى الله عليه وسلم:

«تلك عاجلُ بشرى المؤمن»[٢].

أي أن هذه البُشرى المعجَّلة في الدنيا دليلٌ على فوزه المؤخَّر في الآخرة؛ ولذا يحق له أن يفرح، وسبب فرحه: توفيق الله له للقيام بهذا العمل، واصطفاؤه من بين الخلق لخدمة الخالق، وجاء المدح كإشارة ربانية واضحة طمأنته أنه سائر في الطريق الصحيح.

(١) الجواب الكافي ص ١٤٠.
(٢) صحيح: رواه مسلم عن أبي ذر كما في مشكاة المصابيح رقم: ٥٣١٧.



بين الخوف والرجاء!

لما حضر **أبا موسى الأشعري** الوفاة، قال:

يا بني! اذكروا صاحب الرغيف!

قال:

كان رجل يتعبد في صومعة أراه سبعين سنة، لا ينزل إلا في يوم واحد، قال: فشبَّه الشيطان في عينه امرأة. قال:

فكان معها سبعة أيام، أو سبع ليال، ثم كُشِفَ عن الرجل غطاؤه، فخرج تائبا، فكان كلما خطا خطوة صلى وسجد، فأواه الليل إلى دُكان عليه اثنا عشر مسكينا، فأدركه العياء، فرمى بنفسه بين رجلين منهم، وكان ثَمَّ راهب يبعث إليهم كل ليلة أرغفة، فيعطي كل إنسان رغيفا، فجاء صاحب الرُّغُف، وأعطى كل إنسان رغيفا، ومرَّ على ذلك الرجل الذي خرج تائبا، وظن أنه مسكين، فأعطاه رغيفا، فقال المتروك لصاحب الرُّغُف: مالك لم تعطني رغيفي؟! فقال: تراني أمسكته عنك! سل.. هل أعطيت أحدا منكم رغيفين؟ قالوا: لا.

فقال: تراني أمسكته عنك! والله لا أعطيك الليلة شيئا! فعمد التائب إلى الرغيف الذي دفعه إليه، فدفعه إلى الرجل الذي تُرِكَ، فأصبح التائب ميِّتا.

قال: فَوُزِنَت السبعون سنة بالسبع ليال، فرجحت الليالي، فوُزِنَ الرغيف بالسبع الليالي، فرجح الرغيف!



فقال **أبو موسى**: يا بنيَّ! اذكروا صاحب الرغيف[1].

ما الرسالة التي أراد أن يوصلها لك **أبو موسى** وهو على فراش الموت؟!

ما وصيته الأخيرة؟!

إنها أحد أهم كلماته وخلاصة تجربته وعصارة خبرته:

لا تستعظم عملا صالحا، فعبادة سبعين سنة بعثرتها خطايا سبع ليال!

ولا تستصغر عملًا صالحًا، فثواب رغيف واحد غلب فاحشة سبع ليال!

درس آخر:

إن مقاييس قبول الأعمال ومضاعفتها يتفرَّد به الله سبحانه!

فلا تحكم على أحد بجنة ونار..

أو قبول وطرد..

لأنك لا تدري ما بينه وبين الله.

هي رسالة موجَّهة لك:

تبعث فيك نار الخوف من عاقبة ذنوبِ أيامٍ أضاعت عبادة أعوام..

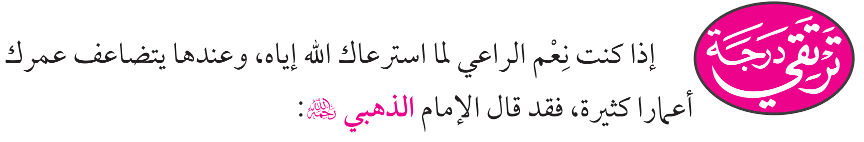
وتمزج ذلك ببرد رجاء رحمة الله التي نالها صاحبنا برغيف واحد ليس غير!

(١) البر والصلة ١/ ٢٢١





8 درجة
الراعي العادل



إذا كنت نِعْم الراعي لما استرعاك الله إياه، وعندها يتضاعف عمرك أعمارا كثيرة، فقد قال الإمام **الذهبي** رحمه الله:

«فالقادة الأعلام.. يومٌ من أيام أحدهم أكبر من عمر آحاد الناس»(١).

هذا القائد مفتاح خير.. يُجري الله على يديه ما لا يُجري على يد غيره، فنفعه لأمته، وتميزه لمن حوله، غير أنه كذلك مغلاق شر يُغلِق الله به أبواب شرٍّ وضرر تهدِّد الأمة.

وهذا من رحمة الله بأمتنا أن يبعث فيها كل فترة من يجدِّد لها دينها، وهؤلاء يكونون أصحاب بعث حضاري يقودون الأمة كلما تنكَّبت طريق الهداية، فإذا برحمة الله تنالها عن طريق رواحل ينفخون الروح في الجسد الميت ويبثون فيه الأمل والحياة.

قال رسول الله ﷺ:

«إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كلِّ مائة سنة من يجدِّد لها دينها»(٢).

لكن ما هي هذه الصفات التي ارتقت بهم في مدارج (المجدِّدين) ومنحتهم هذا الفضل؟!

قال **ابن حجر** رحمه الله:

«اجتماع الصفات المحتاج إلى تجديدها لا ينحصر في نوع من أنواع الخير، ولا يلزم أن

---

(١) فتح الباري ٣/ ٢٩٥.
(٢) صحيح: رواه أبوداود والحاكم والبيهقي عن أبي هريرة كما في صحيح الجامع رقم: ١٨٧٤.



جميع خصال الخير كلها في شخص واحد»[١].

فليس بالضرورة أن تكون هذه الصفة علمًا أو غنى أو سلطانًا أو ذكاءًا، فقد تكون أحد هذه الصفات أو كلها مجتمعة.

هؤلاء القادة يسبقون العُبَّاد الزهاد والمتقوقِعين المنعزلين.

ويتقدمون من لم يُجاوِز نفعهم حدود نفوسهم.

وهذه القيادة في الخير سبب من أسباب التفاضل بين الصالحين في الدنيا، وهذا الحرص على نفـع الغيـر وإيصال الخيـر إليهم سرٌّ من أسرار تفاوت درجاتهم في الآخرة.

علم سلفنا الصالح هذا واعترفوا به، فهذا **بِشْر بن الحارث** رحمه الله يقول:

«فُضِّل عليَّ **أحمد بن حنبل** رحمه الله بثلاث:

بطلب الحلال لنفسه ولغيره، وأنا أطلبه لنفسي فقط، ولاتساعه في النكاح وضيقي عنه، ولأنه نُصِّبَ إمامًا للعامة»[٢].

وكذلك رأى **الفضيل بن عياض** رحمه الله في تفضيل **أبي إسحاق الفزاري** رحمه الله عليه:

«رأيت رسول الله ﷺ في المنام وإلى جنبه فرجة فذهبت لأجلس، فقال: هذا مجلس **أبي إسحاق الفزاري**، فقلت **لأبي أسامة**: أيهما أفضل قال: كان **فضيل** رجل نفسه، وكان **أبو إسحاق** رجل عامة»[٣].

ويدخل في هؤلاء القادة كل من تولى أمرًا من أمور المسلمين، ليكون -إن عَدَلَ- في من يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله (إمام عادل).

---

(١) فتح الباري ٣/ ٢٩٥.
(٢) الإحياء ٢/ ٢٣.
(٣) حلية الأولياء ٨/ ٢٥٤.



قال **ابن حجر** رحمه الله:

«والمراد به صاحب الولاية العظمى، ويلتحق به كل من ولي شيئا من أمور المسلمين فعدل فيه»[1].

وتتسع دائرة الفضل لتشمل كل حَكَم بين اثنين كما قال ذلك **ابن عبد البر** رحمه الله:

«ويدخل تحت قوله عليه السلام إمام عادل -بالمعنى دون اللفظ- كل من لزمه الحكم بين اثنين»[2].



مِنْ طرق الوصول!

وسلم الوصول إلى هذه درجة الراعي العادل متمثِّلٌ في البطانة التي تحوطك!

قال رسول الله ﷺ:

«ما من أمير إلا وله بطانتان من أهله: بطانة تأمره بالمعروف وتنهاه عن المنكر، وبطانة لا تألوه خبالا، فمن وُقِي شرَّها فقد وُقِي، وهو من التي تغلب عليه منهما»[3].

إن كانت البطانة صالحة.. واخترتها بعناية ممن يتقون الله.. موازينهم أخروية، وهِمَمُهم ربانية، فسيحفظون عليك دينك ودنياك.

أما إن كانوا دنيويي الهِمَّة والغاية، فسيأخذون بيدك إلى الحرام ويسوقونك لما يُغضِب الله، ويوقعونك في الحرام تحت زعم أنك إن لم تفعله لن تبلغ غايتك، فيقودونك نحو ضياع دينك ودينهم، وفساد آخرتك وآخرتهم.

---

(١) فتح الباري ٢/ ١٤٥.

(٢) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ٢/ ٢٨٤ - ابن عبد البر - وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية- المغرب.

(٣) صحيح: رواه النسائي عن أبي هريرة كما في السلسلة الصحيحة رقم: ٢٢٧٠ وصحيح الجامع رقم: ٥٦٩٤.



8 دركة الراعي الجائر!

دركة تمهيد

إن ظلمتَ رعيتك! قال رسول الله ﷺ:

«ما من إمام أو والٍ يُغلِق بابه دون ذوي الحاجة والخَلَّة والمسكنة إلا أغلق الله أبواب السماء دون خَلَّته وحاجته ومسكنته»[1].

والإمام هنا هو كل من ولي للمسلمين أمرا، ومعنى «أغلق الله أبواب السماء» أي لم يُجِبه إلى حاجته، وحجب دعاءه عن الوصول إليه.. جزاء وِفاقًا، وهو وعيدٌ شديد لمن كان حاكما بين الناس فاحتجب عنهم لغير عذر لما في ذلك من تأخير وصول الحقوق أو تضييعها، (والفرق بين الحاجة والخَلة والفقر أن الحاجة ما يهتم به الإنسان وإن لم يبلغ حدَّ الضرورة؛ بحيث لو لم يحصل لاختل أمره، والخَلة ما كان كذلك مأخوذ من الخلل، لكن ربما يبلغ حد الاضطرار بحيث لو فُقِد لامتنع التعيش، والفقر هو الاضطرار إلى ما لا يمكن التعيش دونه مأخوذ من الفقار كأنه كسر فقاره، ولذلك فسر الفقير بأنه الذي لا شيء له)[2].

هذا في من منع خيره عن المسلمين، فكيف بمن أوصل إليهم أذاه؟!

إن الهيئة التي يُحشَر عليها كل راعٍ غدا -ولا أقول كل ظالم- في غاية الإذلال والتخويف، وهي الحشر في السلاسل الشديدة التي تكبِّله، فإما أن تُفكَّ عنه أو يُلقى بها في نار جهنم.

قال رسول الله ﷺ:

«ما من أمير عشرةٍ إلا وهو يؤتى به يوم القيامة مغلولا حتى يفكَّه العدل أو يوبِقَه

(١) صحيح: رواه أحمد والترمذي عن عمروبن مرة كما في الصحيحة رقم: ٦٢٩.
(٢) فيض القدير ٥/ ٤٧٠.



الجَوْر»[1].

وهو وعيدٌ شديد لكل ظالم، فمن ضيَّع من استرعاه أو خانه أو ظلمه طولِب يوم القيامة بمظالم العباد، فلينظر كيف سيتحلَّل غدا ممن ظلمهم، وهل سيقبلون منه أم على القصاص يُصِرّون؟!

ويلحق بالإمام الجائر القضاة الفاسدون!

وجور القاضي سبب من أسباب تخلي الله عنه وحرمانه من توفيقه، فيقع القاضي فريسة للشيطان، ومن كان الشيطان رفيقه فهل تأمل منه خيرًا أو ترجو منه حقًا أو عدلًا؟!

قال رسول الله ﷺ:

«إن الله تعالى مع القاضي ما لم يجُرْ فإذا جار تبرأ منه، وألزمه الشيطان»[2].

ولهذا القاضي علامات لا تفارقه رصدها الإمام **الزهري** رحمه الله، فقال عن علامات قضاة العار والنار:

«ثَلَاثٌ إذا كُنَّ في القاضي فليس بِقَاضٍ: إذا كرِه اللَّوائم (جمع لائمة)، وأَحبَّ المحمدة، وكرِه العزْل»[3].



(١) صحيح: رواه البيهقي عن أبي هريرة كما في صحيح الجامع رقم: ٥٦٩٥.
(٢) حسن: رواه الحاكم والبيهقي عن ابن أبي أوفى كما في صحيح الجامع رقم: ١٨٢٧.
(٣) الإشراف في منازل الأشراف ١/ ١٤٦- ابن أبي الدنيا - ط مكتبة الرشد - الرياض.



9 درجة
العمل في زمن الغربة

ترتقي درجة بصلاحك عند فساد الناس، ولاشك أن أمتنا اليوم تعيش واقعًا مريـرًا، يجعل أمـر الاستقامة شاقًا، والتمسك بالحـق أشق، وقد تنبأ النبي ﷺ بهذا الزمان حين قال:

«فإنه مَن يعِش منكم بعدي يرى اختلافا كثيرا».

وهذا الاختلاف الكثير من علاماته أن يقلب الموازين، فيستشري المنكر، ويتزايد الانحراف حتى يظنَّ الناس الانحراف هو الأصل، فيصير المنكر بإلفه معروفا، والباطل باعتياده حقا.



متى بدأ زمن الاختلاف؟!

لكنه –على غير ما يظن الكثيرون– أمرٌ لم يبدأ اليوم، وإنما ظهرت بوادره مع قتل عثمان رضي الله عنه ورحيل الفاروق رضي الله عنه الذي بدأت الفتن بغيابه، ولذا قال حذيفة رضي الله عنه:

«أوّل الفتن قتل عثمان، وآخر الفتن الدَّجّال»[1].

ولهذا وجدنا أنس بن مالك رضي الله عنه يقول:

«لو أن رجلا أدرك السَّلف الأول ثمَّ بعث اليوم ما عرف من الإسلام شيئا»، قال: ووضع يده على خدِّه ثمّ قال: «إلا هذه الصلاة»[2].

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير ٧/ ٢١١.
(٢) الاعتصام ١/ ٢٦.

هذا الاختلاف أو الانحراف بدأ أول ما بدأ برفع الأمانة كما جاء في الحديث:

«أول ما يُرفَع من الناس الأمانة، وآخر ما يبقى من دينهم الصلاة»[١].

وفي رواية أخرى أن بداية الانحراف كانت من الصلاة:

«أول ما يُرفَع من الناس الخشوع»[٢].

وكلما ازددنا بُعْدًا عن هذا الجيل كلما ازدادت فرص الانحراف والاختلاف والتبديل، ولذا بعد مرور مئات السنين من هذا الجيل سمعنا عالما مثل **ابن الجوزي** رحمه الله يقول:

«نظرت في قول **أبي الدرداء** رضي الله عنه: ما أعرف شيئًا مما كنا عليه اليوم إلا القبلة! فقلت: وا عجبًا! كيف لو رآنا اليوم، وما معنا من الشريعة إلا الرسم؟!»[٣].



ثواب المقاومة!

ولاشك أن هذا الانحراف والاختلاف يؤدي إلى صعوبة المقاومة والسباحة عكس تيار الضلال، مما جعل النبي ﷺ يشبِّه أمر الثبات بالقبض على الجمر!

وليس مس الجمر مستطاعا ولا يتحمَّله بشر، فكيف بالقبض عليه!

فقال ﷺ:

«المتمسِّك بسُنَّتي عند اختلاف أمتي كالقابض على الجمر»[٤].

لكن في مقابل كل مشقة مكافأة، ولكل عقبة كؤود تجتازها جائزة.. هذا في قوانين البشر، فكيف مع أكرم الأكرمين!

ولاشك أن هذا الصلاح يرتقي بصاحبه في درجات الجنة ما لا يرتقي به غيره، فقد

(١) حسن: رواه الحكيم عن زيد بن ثابت. الروض النضير ٧٢٧.
(٢) صحيح: رواه الطبراني عن شداد بن أوس. كما في صحيح الترغيب رقم: ٥٤٤.
(٣) صيد الخاطر ١/ ٣٣١.
(٤) حسن: رواه الحكيم عن ابن مسعود كما في الصحيحة رقم: ٩٥٧.



قال رسول الله ﷺ يبشِّرُك ويصبِّرُك:

«إنَّ من ورائكم زمان صبر، للمتمسِّك فيه أجر خمسين شهيدا منكم»[١].

ومن هنا تعلم أن وجودك في هذه المرحلة من حياة الأمة ما هو إلا فرصة سانحة لك لتنافس صحابة رسول الله ﷺ، وتلحق بهم في ركب هذا السباق الأخروي العظيم، وزادك في هذا هو (الصبر)، ومِن دونه تسقط في دائرة القنوط والقعود واليأس.

ترتقي درجة إذا انتقلت من مربَّع المتمسِّكين بالحق إلى مربَّع الداعين إليه، ومن حزب الصالحين إلى حزب المصلحين، فإذا استعليت على العقبات، ودعوت غيرك إلى الخيرات، وأنكرت ما حولك من المنكرات، فقد استحقَقْتَ بإيجابيتك الفذَّة بشارة النبي ﷺ:

«فطوبى للغرباء.

قيل: من هم يا رسول الله؟ قال:

الذين يُصلِحون إذا فسد الناس»[٢].



بين زمانين

رُوِي عن النبي ﷺ قوله:

«إنَّكم في زمانٍ مَنْ ترك مِنْكُمْ عُشْرَ ما أُمِرَ به هلَك، ثُمَّ يأْتي زمانٌ من عمِل منهم بِعُشْر ما أُمِرَ به نجا»[٣].

(١) حسن: رواه الحكيم عن ابن مسعود كما في الصحيحة رقم: ٩٥٧.
(٢) السلسلة الصحيحة رقم: ١٢٧٣ عن ابن مسعود.
(٣) ضعيف: رواه الترمذي وأبو نعيم في الحلية كما في السلسلة الضعيفة رقم: ٦٨٤.

فالزمان الأول هو زمان الصحابة، وهو زمن الخيرية الأولى والرائدة، وبعده الزمان أو زمن الغُربة أو الاختلاف.

قال **مُلا علي القاري** في مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح:

«**(هلَك)**: لأن الدين عزيزٌ والحق ظاهر وفي أنصاره كثرة، فالترك يكون تقصيرًا منكم فلا يُعذَر أحدٌ منكم في التهاون.

(ثم يأتي زمان): يضعف فيه الإسلام ويكثر الظلمة والفُسَّاق ويَقلُّ أنصاره، فيُعذَر المسلمون في الترك إذ ذاك لعدم القدرة لا للتقصير.

(من عمِل منهم بعُشْرِ ما أُمِرَ به نجا): لانتفاء تلك المعاني المذكورة»[١].

9 دركة الانحراف في زمن الغربة

دركة تهوي بأن تستسلم لتيار الباطل السائد، وتساير هجمة السيئات، ومما يزيد تأثير الفتن المضلة اليوم أنَّ من أسلحتها وضمن جنودِها:

صاحب سلطان:

إذا انضم للكثـرة المنحرفة ولاة الأمور وأصحاب المنـاصب كانت الفتنة أشد، وتأثيرها على الناس أعظم؛ لأن لصاحب السلطان من السطوة ما ليس لغيره، فالناس على دين ملوكهم يصعب عليهم أن يخالفوهم كما قال **ابن تيمية** رحمه الله:

«وغالب الخلق لا ينقادون للحق إلا بالقهر»[٢].

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ١/ ٢٦٥.
(٢) درء تعارض العقل والنقل ٧/ ١٧٤ - ابن تيمية - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

وقد تنبَّأ النبي ﷺ بفساد ولاة الأمور، وحذَّرنا من الانجراف مع باطلهم، فقال ﷺ:

«إنه سَيَلِي أموركم بعدي رجال يُعرِّفونكم ما تُنكِرون، وينكرون عليكم ما تعرفون، فلا طاعة لمن عصى الله، فلا تَضِلوا بربكم»[1].

ويعرِّفونكم ما تنكرون أي يتداولون المنكر حتى يغدو كالمعروف، ويهاجمون المعروف فيتوارى كأنه منكر! وفعل الواجب يغدو في هذه الحالة ثقيلا، لأن عدم التجاوب مع التيار السائد، ورفض الانغماس في بيئة الخطأ ربما أدى لإيذاء صاحبه، ومن هنا عظم ثوابه ومقامه.

عالم:

ومما يزيد من تأثير الفتنة فقدان العالم الرباني، وذلك إما بموته، أو سكوته عن النطق بالحق، أو ميله إلى صف الباطل رغبة أو رهبة، وهنا الطامة الكبرى.. حيث أنظار العوام معلَّقة بالعلماء، فإن مالوا عن الحق مال الناس معهم، وإن استقاموا استقام الناس.

أما **موت العلماء** فقد أشار إليه النبي ﷺ في قوله:

«إن الله تعالى لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يَبْقَ عالما اتخذ الناس رؤساء جُهَّالا، فسُئلوا فأفتوا بغير علم، فَضَلوا وأضلوا»[2].

وأما **سكوت العالم** عن الحق فهو يدع الناس غرقى لا صريخ لهم ولا يُنقَذون، خاصة إذا فشا الكلام بالباطل، وآفة السكوت هذه سبق وأن أشار إليها ابن القيم رحمه الله في قوله:

«في اللسان آفتان عظيمتان، إن خلص العبد من إحداهما لم يخلص من الأخرى: آفة الكلام، وآفة السكوت، وقد يكون كل منهما أعظم إثما من الأخرى في وقتها.

فالساكت عن الحق شيطان أخرس، عاصٍ لله، مُراءٍ، مُداهن، إذا لم يخف على نفسه.

---

(١) صحيح: رواه أحمد والحاكم عن عبادة بن الصامت. الصحيحة ٥٩٠.

(٢) صحيح: رواه أحمد والشيخان والترمذي عن ابن عمرو كما في صحيح الجامع رقم: ١٨٥٤.



والمتكلم بالباطل شيطان ناطق، عاصٍ لله»[1].

وأما **انحراف العالم**:

قال **معاذ بن جبل** رضي الله عنه:

«احذروا زلة العالم لأن قدره عند الخلق عظيم، فيتَّبِعونه على زلته»[2].

ولهذا فقد حذَّر **سفيان الثوري** رحمه الله من العالِم الفاجر فقال:

«وكان يُقال: اتقوا فتنة العابد الجاهل والعالم الفاجر، فإن فتنتها فتنة لكل مفتون»[3].

والسبب في أنهم فتنة لكل مفتون شرحه **ابن القيم** رحمه الله فقال:

«الناس إنما يقتدون بعلمائهم وعُبَّادهم، فإذا كان العلماء فجَرة والعُبّاد جهلة عمَّت المصيبة بهما، وعظمت الفتنة على الخاصة والعامة»[4].

وفتنة العلماء أفصح عنها خبير الفتن الأول وكاتم سر النبي صلى الله عليه وسلم **حذيفة بن اليمان** رضي الله عنه، فحذَّر منها علماءَ زمانه، لعلَّ صدى صرخته يصِلُ علماءنا عبر القرون، فيُنقِذهم من ظلمات فيها يترددون. قال رحمه الله:

إياكم ومواقف الفتن.

قيل:

وما مواقف الفتن يا أبا عبد الله؟!

قال:

«أبواب الأمراء، يدخل أحدكم على الأمير، فيصدِّقه

(١) الداء والدواء ١/ ١٦١- ط دار المعرفة.
(٢) الإحياء ١/ ٦٤.
(٣) الجرح والتعديل ١/ ٩١، ٩٢.
(٤) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ١/ ١٦٠ ابن قيم الجوزية - دار الكتب العلمية.



بالكذب، ويقول ما ليس فيه»[١].

ومن هنا عجب الشاعر المؤمن من إقبال العلماء على الحكام ومسارعتهم إليهم، فقال:

عَجِبْتُ لأهل العِلم كيف تغافلوا ... يَجُرّون ثوبَ الحِرص حول الممالِكِ
يدورون حول الظَّالمين كأنهم ... يطوفون حول البيت وقت المناسِكِ

وهؤلاء ذئاب في ثياب قُرَّاء، وأدعياء في صورة علماء، وانشغالهم بالظاهر ألهاهم عن الباطن:

قومٌ يُوارون عما في نفوسهم ... حتى إذا استمكنوا كانوا هم الدّاء
مشمِّرين إلى أنصافِ سوقهم ... هم الذِّئاب وقد يُدعَوْن قُرّاء!

وسيلة إعلام:

وقد يصاحب هذا الانحراف موجة عارمة من إعلامٍ يقلب الحقائق، ويزيِّن المنكرات، ويشوِّه أهل الطاعات، ويمجِّد أصحاب الموبقات، فتتفاقم الأزمة، وتشتد صعوبة الابتلاء، وهذا من علامات الساعة كما في حديث أنس ﷺ عن النَّبيِّ ﷺ قال:

«سيأتي على الناس سنوات خدّاعات، يُصدَّق فيها الكاذب، ويُكذَّب فيها الصادق، ويُؤتَمَن فيها الخائن، ويُخوَّن فيها الأمين، وينطق فيها الرويبضة! قيل: وما الرويبضة؟ قال: الرجل التافه يتكلم في أمر العامة»[٢].

وجاءت روايات الحديث بألفاظ أخرى معبِّرة، فهي:

(سنونَ خدَّاعةٌ - سنواتٌ خدَّاعاتٌ - سنينَ خوادِعُ)

إشارة إلى أنه زمنٌ يكثر فيه الخداع، ويكثر فيه من ينخدع من الناس، لذا جاءت

(١) حلية الأولياء ١/ ٢٧٧.
(٢) صحيح: رواه أحمد وابن ماجة والحاكم عن أبي هريرة كما في السلسلة الصحيحة رقم: ١٨٨٨.

الألفاظ بصيغة المبالغة، لتحذيرك من أن تكون أحد ضحايا هذا الوهم، وأهم آثار هذا الخداع والتضليل:

«يُصدَّقُ فيها الكاذبُ ويكذَّبُ فيها الصادقُ، ويُؤتمَنُ فيها الخائنُ ويخوَّنُ فيها الأمينُ».

وانظر حولك:

- إن رأيتَ كاذبا مشهورا بكذبه، والناس مستمرون في الإصغاء له وتصديقه.
- إن رأيت خائنا انكشفت خيانته، وشهد بها أعداؤه قبل أصدقائه، ومع ذلك يُوسَّد إليه الأمر ويؤتمن على مصالح الناس.
- إن رأيت أمينا لم تُعهَد عليه خيانة، ثم يُحاكَم بتهمة الخيانة! ويقع الناس فيه وينالون من سيرته كذبا وعدوانا.
- إن رأيت صادقا لم تجرَّب عليه كذبًا، ومع ذلك فالكل من حولك يُكذِّبونه، ولا تعلم السرَّ في ذلك!

فاعلم أنك في زمن الاختلاف! وأن هذا من علامات آخر الزمان وقرب الساعة وظهور الدجال، فمن انخدع بالرويبضة اليوم انخدع بالدجال غدا، ومن صدَّق الرويبضة صدَّق الدجال.

وإذا كان دجال الغد يمتلك من الخوارق ما يُبهِر به العقول والأبصار، ومع ذلك لن يعذر الله من اغتر به وتبعه، فهل يعذر الله اليوم من اتبع دجالي اليوم من مشيعي الفواحش وأصحاب المنكرات، وهم لا يملكون من هذه الخوارق شيئًا؟!

ولهذا أمرنا النبي ﷺ باتباع سنته وسنة الخلفاء الراشدين كحل وحيد للنجاة من

هذه الفتن والنجاة من مهالكها، وشبَّه ﷺ هذه الفتن بأنها مثل «**قطع الليل المظلم**»، وشبَّهها بأنها «**تموج كموج البحار**»، ووصفها بأنها «**كوقع المطر**»، وأنها «**كالظُّلَل**»، وقال عنها أنها «**فتنة صماء بكماء عمياء**»، تدع الناس كالأنعام، وتُذهب العقول، ووصفها بأنها «**كرياح الصيف**» يصعب التخلص منها، فنحن في زمان فتن قد مرَّت، وفتن ستمر، وفتن مقبلة ستأتي.



نوعا الفتن!

الفتن نوعان:

فتن الشهوات، وفتن الشبهات..

ولاشك أن فتنة الشبهات أخطر لأن صاحبها يظن أنه على الحق وهو مبطل؛ زيَّن له الشيطان سوء عمله، واستعمله وضمَّه إلى جيشه، ولذا فهي الفتنة العظمى والمصيبة الكبرى، وهي فتنة المنافقين وأصحاب البدع، فهم إنما ابتدعوا من فتنة الشُّبهات حين التبس عليهم فيها الحق بالباطل، فأفسدوا من حيث ظنوا أنفسهم مصلحين، وأضلوا وهم يظنون أنفسهم مهتدين!

ولا يملك عبدٌ إن أراد النجاة إلا أن يرتشف من معين النبوة رحيق هذه الدعوات الشافيات:

اللهم توفَّنا مسلمين وأحينا مسلمين، وألحقنا بالصالحين، غير خزايا ولا مفتونين.





10 درجة
نقطة قوتك سرُّ تفوقك!

قال تعالى:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَـٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَـٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ﴾ [الأنعام ١٦٥].

رفع الله الدرجات وفاضَل بين المواهب والملكات بغرض الاختبار والابتلاء. قال الإمام **النَّسَفي** رحمه الله:

«﴿لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ في ما أعطاكم من نعمة الجاه والمال كيف تشكرون تلك النعمة، وكيف يصنع الشريف بالوضيع، والغني بالفقير، والمالك بالمملوك ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ﴾ لمن كفر، ﴿وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ﴾ لمن قام بشكرها»[1].

فالكيِّس الفطن من بذل من وقته وجهده في اكتشاف نقاط قوته التي اختصه الله بها ليسخِّرها في شراء الجنة وارتقاء درجاتها.

وقد علِم الصحابة نقاط تميُّزهم فسخَّروها في نصرة الحق، **فأبو بكر الصديق** رضي الله عنه الداعية الخبير بمعادن الرجال (نسَّابة العرب)، **وخالد بن الوليد** رضي الله عنه (القائد العسكري)، **وعبد الله بن عباس** رضي الله عنه (العالم البحر)، **وحسان بن ثابت** رضي الله عنه (الشاعر المقصع)، **وزيد بن ثابت** رضي الله عنه (جامع القرآن)، **وأبو هريرة** رضي الله عنه (حافظ الحديث).

وقد لمح الصحابة هذه الفروق الفردية بينهم، فكانوا يقولون:

«أرحمنا بنا **أبو بكر**، وأنطقنا بالحق **عمر**، وأميننا **أبو عبيدة**، وأعلمنا بالحرام والحلال **معاذ**، وأقرؤنا **أُبي**، ورجل عنده علم **ابن مسعود**، وتبعهم **عويمر أبو الدرداء**

---

(١) مدارك التنزيل وحقائق التأويل ١/ ٥٥٣ - حافظ الدين النسفي - دار الكلم الطيب، بيروت.



بالعقل»[١].

كل واحد من هؤلاء العظام أحسن شكر نعمة الله عليه، وملأ بهذا الشكر صحيفته، وارتقى بذلك معالي الدرجات في مراقي الجنات.

وثواب كل واحد من هؤلاء (المتميِّزين) في مجال تميزه هو الذي يرفع درجته فوق درجة غيره من (العاديين)، ولذا قال **ابن القيم** رحمه الله:

«والشُّجاع الشديد الذى يهاب العدو سطوته وقوفه في الصف ساعة وجهاده أعداء الله أفضل من الحج والصوم والصدقة والتطوع.

والعالِم الذى قد عرف السنة والحلال والحرام وطرق الخير.. والشر مخالطته للناس وتعليمهم ونصحهم في دينهم أفضل من اعتزاله وتفريغ وقته للصلاة وقراءة القرآن والتسبيح[٢].

وولي الامر الذى قد نصبه الله للحكم بين عباده.. جلوسه ساعة للنظر في المظالم وإنصاف المظلوم من الظالم وإقامة الحدود ونصر المحق وقمع المبطل أفضل من عبادة سنين من غيره»[٣].



سؤال وجواب!

ولذا لما سئل **ابن تيمية** رحمه الله عن الأسباب التي يقوى بها الإيمان إلى أن يكمل:

هل يبدأ بالزهد؟ أو بالعلم؟ أم يجمع بين ذلك على حسب طاقته؟

---

(١) سير أعلام النبلاء ٢/ ٣٤١.

(٢) قال **عبد الله بن المبارك**: ما رأيت أحدا ارتفع مثل مالك، ليس له كثير صلاة ولا صيام، إلا أن تكون له سريرة. قال **الإمام الذهبي**: ما كان عليه من العلم ونشره أفضل من نوافل الصوم والصلاة لمن أراد به الله. سير أعلام النبلاء ٨/ ٩٧.

(٣) عدة الصابرين ١/ ١١٥ - ١١٦.



أجاب قائلًا:

«النـاس يتفاضلون في هذا الباب، فمنهم من يكون العلم أيسـر عليه من الزهد، ومنهم من يكون الزهـد أيسر عليـه، ومنهم من تكون العبادة أيسر عليه منهما، فالمشروع لكل إنسان أن يفعل ما يقدر عليه من الخير، كما قال تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن ١٦].

وإذا ازدحمت شعب الإيمان قدَّم ما كان أرضى لله وهو عليه أقدر، **فقد يكون على المفضول أقدر منه على الفاضل، ويحصل له أفضل مما يحصل من الفاضل، فالأفضل لهذا أن يطلب ما هو أنفع له، وهو في حقه أفضل، ولا يطلب ما هو أفضل مطلقا**، إذا كان متعذِّرا في حقه أو متعسِّرا يفوته ما هو أفضل له وأنفع؛ كمن يقرأ القرآن فيتدبره وينتفع بتلاوته والصلاة تثقل عليه ولا ينتفع منها بعمل، أو ينتفع بالذكر أعظم مما ينتفع بالقراءة، فأي عمل كان له أنفع ولله أطوع أفضل في حقه من تكلف عمل لا يأتي به على وجهه، بل على وجه ناقص، يفوته ما هو أنفع له»[1].

فلاحِظ قوله الذي يشير إلى تباين قدرات الناس: **(فقد يكون على المفضول أقدر منه على الفاضل، ويحصل له أفضل مما يحصل من الفاضل)**.

خذ مثلا.. **الغني** الذي اختصَّه الله بنعمة المال.. هذا لابد أن تكون عبادته الأولى بعد أداء الفرائض هي الإنفاق في وجوه الخير، ولهذا لما قيل **لبشر بن الحارث** رحمه الله:

«إن فلانا الغني كثير الصوم والصلاة! فقال: المسكين! ترك حاله و دخل في حال غيره، و إنما حال هذا إطعام الطعام للجياع والإنفاق على المساكين، فهذا أفضل له من تجويعه نفسه، ومن صلاته لنفسه مع جمعه للدنيا ومنعه الفقراء[2].

(١) مجموع الفتاوى ٧/ ٦٥١، ٦٥٢.
(٢) إحياء علوم الدين ٣/ ٤٠٩.

بل إن تجارته مع طهارة يده في ظل انتشار الخيانة وخبو نجم الأمانة يزيد في رفعته ويُعْلي من درجته، ولذا لما سئل **إبراهيم النخعي** ﷺ عن الرجل يترك التجارة ويقبل على الصلاة، ورجل يشتغل بالتجارة؛ أيهما أفضل؟! قال: التاجر الأمين[1].

فإذا اجتمع مع كل هذا حاجة المسلمين وسدُّه لفاقة طائفة منكوبة تضاعف أجره وارتقت درجته.. حسنات بعضها فوق بعض.

وهو لون من ألوان الرزق الخفي قرَّره الإمام **مالك بن أنس** ﷺ، وذلك لما كتب **عبد الله العُمري** ﷺ العابد إلى **مالك** ﷺ يحضُّه على الانفراد والعمل، فكتب إليه **مالك** ﷺ:

«إن الله قسم الأعمال كما قسم الأرزاق، فرُبَّ رجل فُتِح له في الصلاة، ولم يُفتح له في الصوم، وآخر فتح له في الصدقة ولم يفتح له في الصوم، وآخر فتح له في الجهاد، فنشْر العلم من أفضل أعمال البر، وقد رضيت بما فُتح لي فيه، وما أظن ما أنا فيه بدون ما أنت فيه، وأرجو أن يكون كلانا على خير وبر»[2].

ترتقي درجة

فوق درجة إذا جمعتَ نقاط قوة متعددة، فكانت بمثابة أبواب خير متعددة تلِج منها إلى قصور الجنة، وخير مثال على ذلك **أبو بكر الصديق** ﷺ صاحب السبق في القُرُبات والصالحات، ولذا فهو يدخل الجنة متنزِّهًا بين أبوابها الثمانية كما في الحديث (قال **أبو بكر**: هل يُدعَى أحدٌ من تلك الأبواب كلها؟ قال: **نعم.. وأرجو أن تكون منهم**).



حتى الصحابة يتفاوتون ويتنافسون!

وتفاوت الصحابة في الملكات والأرزاق مشاهَدٌ ومعروف، فهذا **أبو الدرداء** ﷺ

---

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية ٣/ ٢٦٩.
(٢) سير أعلام النبلاء ٩ / ٢٣٤.

يقول:

«كنتُ تاجرًا قبل المَبْعث، فلما جاء الإسلامُ، جمعتُ التِّجارةَ والعبادةَ، فلم يجتمعا، فتركتُ التجارة، ولزمتُ العبادة».

قال **الذهبي** رحمه الله في تعليق الفقيه الخبير على كلام **أبي الدرداء** رضي الله عنه:

«الأفضل جَمْعُ الأمرين مع الجهاد، وهذا الذي قاله هو طريقُ جماعة من السَّلفِ والصوفية.

ولا ريبَ أن أمزجة الناس تختلفُ في ذلك، فبعضُهم يقوى على الجمع، **كالصِّدِّيق**، **وعبد الرحمن بن عوف**، وكما كان **ابن المبارك** رحمه الله.

وبعضُهم يَعجِزُ ويقتصِر على العبادة.

وبعضُهم يقوى في بدايته، ثم يَعجِزُ، وبالعكس، وكلٌّ سائغ»[1].

10 دركة نقطة قوتك سرُّ شقائك!

دركة تيه

إذا بدَّلتَ نعمة الله عليك كفرا، وبدلًا من أن تكون لك كانت عليك، فسخَّرتَ:

- **نعمة المال** الذي منحك الله إياه في شراء قطعة في النار، وذلك باستخدامه في الصدِّ عن سبيل الله، وإشاعة الفاحشة في المؤمنين!
- **سلطتك وجاهك** وصِلاتك بأصحاب النفوذ في أكل الحرام وغصب الحقوق والإفساد في الأرض بدلًا من تسخيرها في خدمة الناس وقضاء حوائجهم.

(١) سير أعلام النبلاء ٢/ ٣٣٨.



- **قوة بدنك** وشدة ذراعيك في معاونة الظالم لا الضعيف، وتشييد بناء الباطل بدلا من هدمه، فتصير النعمة نقمة، والعطاء مفتاح شقاء.
- **فراغك** في انتهاك الحرمات في الخلوات ونسف الحسنات وبعثرة الطاعات! بدلا من ملئه بغراس الذكر وشراء القصور في الجنات.
- **الاستزادة من العلم** دون استعماله، وتحصيله دون أن يُرى أثره على قلب أو سلوك، ليكون حجة على صاحبه ووبالا عليه، ولذا قال أبو إسحاق الألبيري الأندلسي رحمه الله ناصحا ولده:

وإن أُعطيتَ فيــه طول بـاعٍ	وقال الناس: إنك قد علمتا
فلا تأمن ســؤال الله عنـــه	بتوبيخٍ: علمتَ، فهل عملتا؟
فرأس العلم تقوى الله حقا	وليس بأن يُقالُ: لقد رؤستا
إذا لــم يُفِدْكَ العلـم خيـرا	فخيـرٌ منه أن لو قـد جهلتا

أو بأن يستخدم العالم علمه في تزيين الظلم للظالمين وخداع المغفَّلين، بدلا من الأخذ بأيدي الناس إلى طريق الحق وسكك الصالحين.

قال ابن القيم رحمه الله:

«علماء السوء جلسوا على باب الجنة يدعون إليها الناس بأقوالهم ويدعونهم إلى النار بأفعالهم، فكلما قالت أقوالهم للناس هلموا؛ قالت أفعالهم لا تسمعوا منهم، فلو كان ما دَعَوا إليه حقا كانوا أول المستجيبين له، فهم في الصورة أدِلاء، وفي الحقيقة قُطَّاع الطرق!»[1].

وقد حــذَّر النبي ﷺ من هذا الانهيار، وأنــذر العلماء من أن يخطــوا الخطوة الأولى في هذا الطــريق، فمن مشاها أكمل ولابــد طريقه نحو الهاوية دون أن يشعـر، فقال رسول

(١) الفوائد ١/ ٦١.



الله ﷺ:

«ومن أتى أبواب السلطان افتُتِن، وما ازداد أحدٌ من السلطان قربا إلا ازداد من الله بُعْدا!»[١].

وهي خدعة الشيطان الأشهر مع العلماء، وحيلته الأعظم مع حملة القرآن. يوهمهم أنهم سيُصلِحون، فإذا بهم مُفْتَتَنون.

قال عنهم **سفيان الثوري** رحمه الله:

«إذا رأيت القارئ يلوذ بالسلطان فاعلم أنه لص، وإن لاذ بالأغنياء فمُراءٍ، وإياك أن تخدع فيُقال: لعلك ترد عن مظلمة أو تدفع عن مظلوم، فإن هذه خدعةٌ من إبليس اتخذها، فجاز القراء سُلَّما!»[٢].

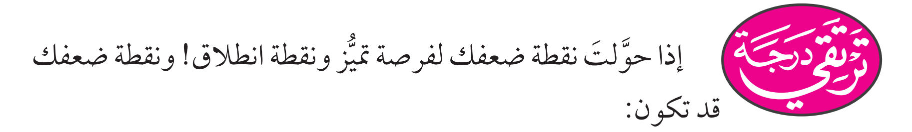


(١) رواه أحمد كما في السلسلة الصحيحة رقم: ١٢٧٢.
(٢) الآداب الشرعية والمنح المرعية ٣/ ٤٨١ - ط دار الكتب العلمية.





11 درجة
نقطة ضعفك سرُّ قوتك!



ترتقي درجة

إذا حوَّلتَ نقطة ضعفك لفرصة تميُّز ونقطة انطلاق! ونقطة ضعفك قد تكون:

فقــرا!

قلة المال طريق إلى السبق خاصة إذا كان من حلال وأنفقت منه عن رضا وفرحٍ بالبذل، فتسبق إنفاق غيرك إن كان عن كثرة وصادف شبهة أو مالًا حرامًا، أو خالطه سمعة أو رياء. قال رسول الله ﷺ:

«سبق درهم مائة ألف درهم»!

فقال رجل: وكيف ذاك يا رسول الله؟! قال:

«رجل له مال كثير أخذ من عرضه مائة ألف درهم تصدَّق بها، ورجلٌ ليس له إلا درهمان، فأخذ أحدهما فتصدق به»[1].

شغــلا..

تشكو كثرة الأشغال وضيق الأحوال؟!

ومع هذا تقتنص من أصل وقتك وقسط راحتك لتفوز بركعتين في جوف الليل، أو تسعى فيه بقدميك المتعبتين في قضاء حاجة مسلم، أو تحمل بذراعيك المرهقتين من كثرة العمل الضعيفَ وصاحب الحاجة، فتستحق عندها البشارة وإعلان السبق على لسان

(١) حسن: رواه النسائي وابن خزيمة وابن حبان في صحيحه كما في صحيح الترغيب والترهيب رقم: ٨٨٣.



ابن القيم رحمه الله:

«ليس العجَب من صحيحٍ فارغٍ واقفٍ مع الخدمة، إنما العجَب من ضعيفٍ سقيمٍ تعتورُه الأشغال، وتختلف عليه الأحوال، وقلبه واقف في الخدمة غير متخلِّف بما يقدر عليه»[١].

شهـــوة!

إذا كنتَ شابًا تحيط بك الشهوات، وتحاصرك الكاسيات عاريات في ظل غياب صحبةٍ تحميك وأجواء تهديك، فاعلم أن الله قد أهدى إليك فرصة سانحة لتنال مدحة نبوية رائعة:

«إن الله ليعجب من الشاب ليست له صبوة»[٢].

كتبوا إلى **عمر بن الخطاب** رضي الله عنه يسألونه: أيهما أفضل رجل لم تخطر له الشهوات ولم تمر بباله، أو رجل نازعته إليها نفسه فتركها لله؟!

فكتب **عمر** رضي الله عنه أن الذي تشتهي نفسه المعاصي ويتركها لله عز وجل من الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى؛ لهم مغفرة وأجر عظيم[٣].

وشتان ما بين المجاهد لهواه وصاحب القلب المعافى من ذلك، هذا صاحب نفس تكابِد التعب وتعاني ألم المجاهدة، وهو «بِخِلاف النَّفس الباردة الخالية من ذلك، فإنها وإن كانت طالبة للأعلى، لكن بين الطلبين فرقٌ عظيم!!

ألا ترى أنَّ من مشى إلى محبوبه على الجمر والشوك أعظم ممن مشى إليه راكبًا على النجائب.

فليس من آثر محبوبه مع منازعة نفسه كمن آثره مع عدم منازعتها إلى غيره، فهو

---

(١) الفوائد ١/ ١٦٩.
(٢) حسن لغيره كما قال الشيخ شعيب الأرنؤوط كما في مسند الإمام أحمد رقم: ١٧٣٧١.
(٣) الفوائد ١١٠- ط دار الكتب العلمية - بيروت.



سبحانه يبتلي عبده بالشهوات، إما حجابا له عنه، أو حاجبًا له يوصله إلى رضاه وقربه وكرامته»[1].

11 دركة نقطة ضعفك سِرُّ هزيمتك!

دركة تهوي: إذا حوَّلتَ نقطة ضعفك لثغرة يتسلل منها الشيطان وينتهِب منك الإيمان! ونقطة ضعفك قد تكون:

فقــرا!

فتهوي بك في دركات النار إذا امتدت يدك نحو الحرام، وهذا من أمضى أسلحة الشيطان، فما أشد فرحه إذا وقع في يده، وعن طريقه يوقِع العبد في الذنب تلو الذنب، ولذا قال **حمدون القصار** رحمه الله: «إذا اجتمع إبليس وجنوده لم يفرحوا بشيء كفرحهم بثلاثة أشياء: رجل مؤمن قتل مؤمنًا، ورجل يموت على الكفر، وقلب فيه خوف الفقر»[2].

وقال **سفيان الثوري** رحمه الله عن خوف الفقر:

«ليس للشيطان سلاح مثل خوف الفقر، فإذا قبل ذلك منه أخذ في الباطل، ومنع من الحق، وتكلَّم بالهوى، وظنَّ بربه ظن السوء»[3].

وصدق رحمه الله..

أخذ من الباطل: أكل من الحرام.

ومنع من الحق: منع أداء حقوق الناس، فظلمهم.

---

(١) الفوائد ١١٠، ١١١ – ط دار الكتب العلمية – بيروت.
(٢) الرسالة القشيرية ٢/ ٤٣١.
(٣) الزواجر عن اقتراف الكبائر ١/ ١٤٢.

وتكلَّم بالهوى: أي بالكذب والافتراء لينال ما ليس له.

وظنَّ بربه ظن السوء: فقد وعده وتكفَّل بإيصال رزقه إليه ولو كان في عمق البحر أو كبد السماء.

وألوان أكل الحرام كثيرة وقع فيها الخائن والسَّارق والمرتشي وآكل الرِّبا ومُؤكله وناهب مال اليتيم وشاهد الزُّور، ومن استعار شيئا فجحده أو بدَّده، ومُنْتَقِص الكيل والميزان، والبائع الغشاش، والمقامر، والسَّاحر.

كل أولئك أدخلوا الحرام على أرزاقهم، ولم ينجحوا في اختبار الفقر، فكتبوا بذلك عقد إقامتهم في النار لأيامٍ أو أعوام، بعد أن تعذَّر عليهم فهم معادلة مِسعر بن كدام رحمه الله:

تفنى اللذاذة ممن نال صفوتها ... من الحرام ويبقى الإثم والعار

تبقى عواقب سـوء من مغبتها ... لا خيرَ في لذة من بعدها النار

شغـلا..

حين تتغوَّل الدنيا على الآخرة..

تسرق في البداية وقتك، وفي النهاية قلبك!

وإذا وقع قلبك في أسر دنياك لم يبق فيه موضع شبرٍ للآخرة..

وتصبح وتمسي خائفا من خسارة دنياك وأنت تخسر دينك كل يوم.

وعندها يصدق فيك قول الشاعر:

تـراه يُشفِق من تضييع درهمه ... وليـس يُشفِق من دين يُضيِّعـه

شهوة حاضرة أو غائبة!

قد تستسلم لشهوتك بعد أن ألقت عليها شباكها، فيكون فيها هلاكك!

كم من عاشق مالٍ مالَ به عن الحق..

كم من صاحب شُهرة صرعت شهرتُه إيمانه، وأدَّت لإفلاس تقواه.

وصدق رسول الله ﷺ:

«تُعرَض الفتن على القلوب عرض الحصير عودًا عودًا، فأي قلب أُشْرِبَهَا نكت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نُكِت فيه نكتة بيضاء، حتى يصير القلب أبيض مثل الصفا لا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض، والآخر أسود مُرْبَادًّا كالكوز مُجَخِّيًا لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا إلا ما أُشْرِبَ من هواه»(١).

(والحديث في مجمله يبث الرعب فينا ليدفعنا بقوة إلى ضرورة مراجعة النفس لاكتشاف نقطة الضعف التي يتسلل منها الشيطان ليحوِّل صاحب القلب الحي في النهاية إلى صاحب قلب منكوس، وما ذاك إلا من تهاونه في معرفة عيب نفسه في البدء، وعدم سدِّ هذا المنفذ على الشيطان بسد فولاذي الإيمان وسعيه الحثيث في العلاج، نعم نقطة ضعف واحدة ليس غير كفيلة أن تؤدي إلى انتكاسة قلبك وانقلاب روحك، وأنت السبب إذ لم تسمع وصية الحبيب، أو سمعتها ورميتها وراء ظهرك، ثم تبكي!!

وما مثلك بنقطة ضعفك مع شيطانك إلا كحامل قطعة لحم وحوله كلب جائع، فلا يزال الكلب ملازمًا لك حتى ترمي عنك قطعة اللحم، فإن رميتها ثم زجرته انصرف عنك، وإلا ظل يحوم حولك يطمع في لحظة غفلة أو سِنة نوم ليهجم!!)(٢).

وقد تكون نقطة ضعفك شهوة غائبة ورغبة فاترة تتكلَّف ظهورها وإبرازها، فيكون الاستسلام لها من أحطِّ الدركات وعلامة سوء السريرة وخبث الطويات؛ لأن الوقوع في الذنب عندها يُشبِه العناد للآمر، فيستحق صاحبه شدة العقوبة.

قال رسول الله ﷺ:

«ثلاثةٌ لا يدخلونَ الجنَّةَ: الشّيخُ الزّانِي، والإِمامُ الكذّابُ، والعائلُ المزهوّ»(٣).

---

(١) صحيح: رواه مسلم وأحمد عن حذيفة كما في في صحيح الجامع حديث رقم: ٢٩٦٠.
(٢) رد إلي روحي ص ٢٦٤ - خالد أبو شادي - ط دار الأندلس الخضراء.
(٣) أخرجه البزار عن سلمان الفارسي كما في السلسلة الصحيحة رقم: ٣٤٦١.

وفي رواية ظهر فيها تشديد العقوبة وتفصيلها:

«ثلاثة لا يُكلِّمهم الله يوم القيامة، ولا يُزكّيهم، ولا ينظر إليهم، ولهم عذاب أليم»[1].

قال القاضي عياض رحمه الله شارحًا سِرَّ تشديد العقوبة على هذه الأصناف الثلاثة:

«سببه أن كل واحد منهم التزم المعصية المذكورة مع بعدها منه وعدم ضرورته إليها وضعف دواعيها عنده، وإن كان لا يُعذَر أحدٌ بذنب، لكن لما لم يكن إلى هذه المعاصي ضرورة مزعجة ولا دواعي، أشبه إقدامهم عليها المعاندة والاستخفاف بحق الله تعالى وقصد معصيته، لا لحاجةٍ غيرها.

- فإن الشيخ لكمال عقله وتمام معرفته بطول ما مرَّ عليه من الزمان، وضعف أسباب الجماع والشهوة للنساء واختلال دواعيه، لذلك عنده ما يريحه من دواعي الحلال في هذا، ويخلي سره منه، فكيف بالزنا الحرام؟! وإنما دواعي ذلك الشباب والحرارة الغريزية، وقلة المعرفة، وغلبة الشهوة لضعف العقل وصغر السن.
- وكذلك الإمام لا يخشى من أحد من رعيته، ولا يحتاج إلى مداهنته ومصانعته، فإن الإنسان إنما يداهن ويصانع بالكذب من يحذره، ويخشى أذاه ومعاتبته، أو يطلب عنده بذلك منزلة أو منفعة، وهو غنيٌّ عن الكذب مطلقًا.
- وكذلك العائل الفقير قد عدم المال، وإنما سبب الفخر والخيلاء والتكبر والارتفاع على القرناء: الثروة في الدنيا، وحاجات أهلها إليه، فإذا لم يكن عنده أسبابها، فلماذا يستكبر ويحتقر غيره؟!»[2]

فلم يبق فعله وفعل الشيخ الزاني والإمام الكاذب إلا لضرب من الاستخفاف بحق الله تعالى»[3].

---

(١) صحيح: رواه مسلم والنسائي عن أبي هريرة كما في صحيح الجامع رقم: ٣٠٦٩.

(٢) قال يحيى بن معاذ: «التواضع حسن في كُل أحد لكنه في الأغنياء أَحْسَن، والتكبر سمج في كُل أحد، لكنه في الفقـراء أسمج». الرسالة القشيرية ١/ ٢٧٩- ط دار المعارف.

(٣) شرح النووي على مسلم ٢/ ١١٧ بتصرف يسير.



12 درجة
الدعـوة إلـى الله!

ترتقي درجة

إذا انتظمتَ في سلك الدعاة إلى الله، فقد سُئل **وهب بن منبِّه** رحمه الله:

يا أبا عبد الله، رجلان يصليان، أحدهما أطول قنوتًا وصمتًا، والآخر أطول سجودًا، أيهما أفضل؟ فقال:

«**أنصحهما لله عز وجل**»(١).

أي أن من قام بواجب النصح في الله قد تقدَّم كثيرَ الصلاة طويل الخشوع.

وهذا السبق سببه مضاعفة حسناته كلما عمل من دعاه بما دعاه إليه، واطرب معي لما جاء في هذا الحديث:

«**من علَّم آية من كتاب الله عز وجل، كان له ثوابها ما تُلِيَتْ**»(٢).

وإن العقل ليقف مشدوها لا يحيط علما بعدد مرات التلاوة التي يردِّدها من تعلَّم هذه الآية القرآنية منك، ولذا يظل أجرك مجهولًا لا تعرفه على حقيقته إلا يوم مكافأتك به يوم القيامة.

وبهذا تعرف سر الأجـــر اللامعقول والثواب الذي لا سقف له الذي أعلنه رسول الله ﷺ **لعلي** رضي الله عنه:

«**والله لأن يُهدى بهداك واحدٌ خير لك من حُمُر النعم**»(٣).

---

(١) حلية الأولياء ٤/ ٤٣.
(٢) صحيح: رواه أبو مالك الأشجعي عن أبيه كما في السلسلة الصحيحة رقم: ١٣٣٥.
(٣) صحيح: رواه أبو داود عن سهل بن سعد كما في صحيح الجامع رقم: ٧٠٩٤.



وقالها لمعاذ رضي الله عنه لما بعثه إلى اليمن:

«لأن يَهديَ الله بك رجلا واحدا خيرٌ لك من الدنيا وما فيها»[١].

وما أروع هذا التشبيه وأبلغه، فقال النووي رحمه الله:

«تشبيه أمور الآخرة بأعراض الدنيا إنما هو التقريب للأفهام، وإلا فقدرٌ يسيرٌ من الآخرة خير من الدنيا بأسرها وأمثالها معه»[٢].

ترتقي درجة

كلما كان أثرك في من حولك أكبر، ويزداد اتساع رقعتك في الجنة كلما أثمر غرس دعوتك، وينبغي لقلبك أن يمتلئ غيرة كما غار موسى عليه السلام حين رأى سبق نبينا له، وكثرة أتباعه، وبركة غرسه وينع ثماره.

بكى موسى عليه السلام لما تجاوزه النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج.

قيل له: ما يُبْكيك؟

قال:

«أبكي لأنَّ غُلامًا بُعِثَ بعدي يدخل الجنَّة من أُمَّته أكثر مِمَّن يدخلها من أُمتي».

ولا عجب! فرسولنا أعظم الخلق أجرًا يوم القيامة، فما من حسنة من حسناتنا إلا في ميزانه، ولذا فميزانه يرجح موازين الخلق أجمعين.

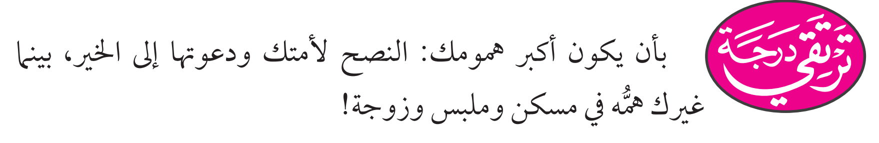
قال ابن تيمية رحمه الله:

«ومحمد صلى الله عليه وسلم هو الداعي إلى ما تفعله أمته من الخيرات، فما يفعلونه له فيه من الأجر مثل أجورهم من غير أن ينقص من أجورهم شيئا»[٣].

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٥/ ٢٣٨، رقم: ٢٢١٢٧، قال الهيثمي: رجاله ثقات إلا أن ذويد بن نافع لم يدرك معاذا.
(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ١٥/ ١٧٨ - النووي - دار إحياء التراث العربي - بيروت.
(٣) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ١/ ٧١ - دار الفرقان.





ترتقي درجة بأن يكون أكبر همومك: النصح لأمتك ودعوتها إلى الخير، بينما غيرك همُّه في مسكن وملبس وزوجة!

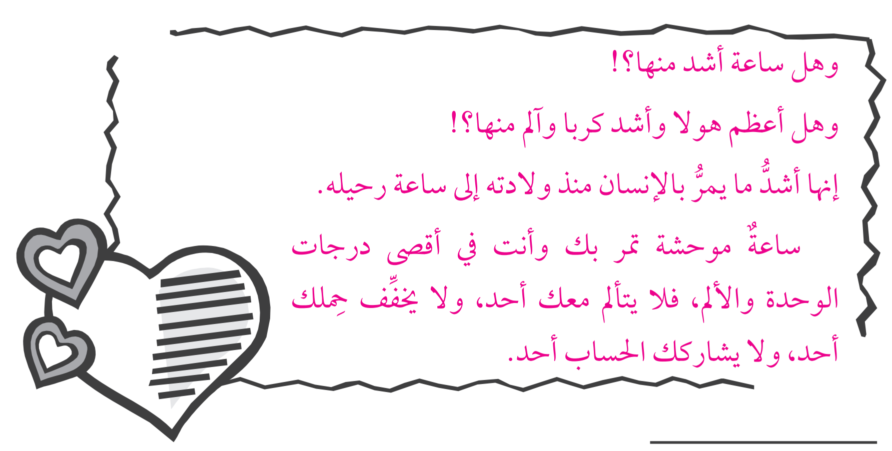
قال **الفضيل** رحمه الله:

«لم يُدرِك عندنا من أدرك بكثرة صيام ولا صلاة، وإنما أدرك عندنا بسخاء الأنفس، وسلامة الصدور، والنصح للأمة»[1].

وهو سبب سبق **أبي بكر الصديق** رضي الله عنه كما في قول **أبي بكر المزني** رحمه الله:

«ما فاق **أبو بكر** رضي الله عنه أصحاب **محمد** صلى الله عليه وسلم بصومٍ ولا صلاة، ولكن بشيء كان في قلبه. قال: الذي كان في قلبه الحبُّ لله -عزَّ وجلَّ- والنصيحة في خلقه»[2].

ترتقي درجة إذا ملأَتِ الدعوة أوقاتك واستفرغت طاقاتك، وصارت حرفتك الأولى ووظيفتك، وانظر كيف بلغت أعظم مبلغ عند صفوة الخلق حتى لازمتهم ساعة الموت.



وهل ساعة أشد منها؟!

وهل أعظم هولا وأشد كربا وآلم منها؟!

إنها أشدُّ ما يمرُّ بالإنسان منذ ولادته إلى ساعة رحيله.

ساعةٌ موحشة تمر بك وأنت في أقصى درجات الوحدة والألم، فلا يتألم معك أحد، ولا يخفِّف حِملك أحد، ولا يشاركك الحساب أحد.

---

(١) حلية الأولياء ٨ / ١٠٣.

(٢) جامع العلوم والحكم ١/ ٢٢٥ - ط مؤسسة الرسالة.

ومع هذا ما نسي أنبياء الله ورسله دعوتهم وقضيتهم ورسالتهم لأن الدعوة وظيفة العمر لآخر لحظة فيه.. ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى ﴾ [البقرة١٣٣].

ويجيء الجواب الذي أقرَّ عين يعقوب عليه السلام: ﴿ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة١٣٣].



ترتقي درجة

إذا صبرت على ابتلاءٍ أصابك في سبيل دعوتك، وإذا اجتزْتَ عوائق الطريق إن واجهتك، لتنتسب بذلك إلى القلة المنصورة التي جاء ذكرها في الحديث الذي جاء متواترا عن واحد وعشرين صحابيًا، وبشَّرَنا فيه النبي ﷺ:

«لا تزال طائفة من أمتي على الدين ظاهرين، لعدُوِّهم قاهرين، لا يضُرُّهم من خالفهم إلا ما أصابهم من لأواء حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك»[1].

أخي المشتاق في طريق السِّباق..

هذا خبرٌ نبويٌ قطعي لا ريب فيه، يعبِّر عن أمرٍ قدري باقٍ لا محالة مهما أرجف المرجفون وتجبَّر المتجبِّرون، لكنه -من جهة ثانية- تكليفٌ شرعي للأمة أن (تكوِّن) هذه الطائفة مصداقا لقول ربها: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران ١٠٤].

فالأمة (مطالبة) شرعًا بتكوين هذه الطائفة، وإن فعلت فقد قامت بأشرف المهام

(١) صحيح لغيره: أخرجه أحمد في مسنده ٣٦/ ٦٥٦، وأخرجه الطبراني في الكبير، وقال الشيخ شعيب أرناؤوط: صحيح لغيره.

الربانية وارتقت أسمى مدارج العبودية، وسبب هذا الرقي أنها لم تقنع بصلاح نفسها فحسب لتكون **(ناجية)**، لكنها تقدَّمت غيرها لتكون **(الطائفة المنصورة)**.

وهذا ارتقاء فوق ارتقاء، ولذا كان لهذه الطائفة المنصورة صفات زائدة:

أولًا:

«**طائفة**» يجمعها وحدة العمل والأهداف والهموم المشتركة والخصال السامية.

ثانيًا:

«**ظاهرين**» ليست طائفة خفية مستترة، ولا ضعيفة منهزمة، فلا تخجل من الحق الذي معها فتسكت عنه أو تخجل منه أو ترضى بهوانه.

ثالثًا:

«**لعدوهم قاهرين**» أي أنهم منصورون، وهذا وعد الله الذي لا يتخلف، ولا يصدِّقه في ذروة الشدائد إلا الموقنون العاملون.

حاسِب ☺	حاسِب ☹	الدرجة	درجة الدعوة إلى الله
↑		أرغِم	غِظ أعداءك بعبودية المراغمة!
		اعمل	أن تعمل بما تدعو إليه
		لا تيأس	أن تواصل ولو لم يستجب لك أحد
		اهتم	أن تكون الدعوة أكبر همومك
		انتشر	اتساع دائرة الدعوة
		ادع	دعوة من حولك إلى الخير

قال **الحسن البصري**:

«والذي نفس محمد ﷺ بيده، لئن شئتم لأُقسِمنَّ لكم، إنَّ أحبَّ عباد الله إلى الله الذين يُحبِّبون الله إلى عباده، ويُحبِّبون عباد الله إلى الله، ويمشون في الأرض بالنصيحة».



12 دركة الدعوة إلى الشر

دركة تهوي

إذا كانت دعوتك إلى شرٍّ وسوء، أراد الله لك الأرباح فلم تكتف بالزهد فيها حتى سعيت إلى الخسران.

قال رسول الله ﷺ:

«... ومن سنَّ في الإسلام سُنَّة سيئةً كان عليه وِزْرُها، ووِزْر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء».

ولذا كانت عقوباتهم خيالية.. لا يطيق تخيلها عقلٌ فضلًا عن أن يطيقها جسد!

قال رسول الله ﷺ في شأن من اخترع سيئة سار عليها من بعده:

«لا تُقتَلُ نفس ظلما إلا كان على ابن آدم الأول كِفْلٌ من دمها؛ لأنه أولُ من سنَّ القتل»[1].

- أيها المبتدع الذي أضل ببدعته خلقا كثيرا، ونشَر سنته الفاسدة في من حوله.. أبشِر بطول مُكثٍ في النار أطول من غيرك، وتدحرج في دركاتها لا يعلم مداه إلا الله إلا أن يتوب الله عليك أو يعفو.
- يا صاحب العمل الذي يمتهن العمل في المحرَّمات والمنكرات.. أنت حامل أوزار كل من عملوا لديك، وستبوء بإثم جماعات من الناس ممن عرفت وممن لم تعرف.

(١) صحيح: رواه أحمد والشيخان والترمذي والنسائي وابن ماجة عن ابن مسعود كما في صحيح الجامع رقم: ٧٣٨٧.

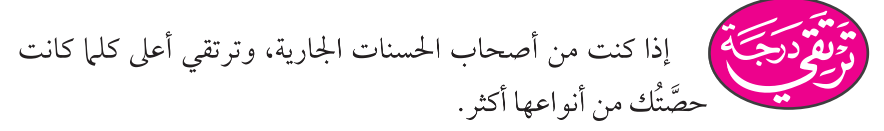


- أيها الخائض في أعراض المسلمين بغير بيِّنة، وناشرا ذلك على الملأ داعيًا غيرك إليه، لقد فتحْتَ بابًا من أوسع أبواب الشر، والدال على الشر كفاعله.
- يا ربَّ الأسرة الذي فتح لأبنائه أبواب الرزق الحرام أو مشاهد الأفلام الفاسدة أو صحبة السوء.. أنت مثقلٌ بأوزارك، وأوزارُ أهلك مُثبتة في صحيفتك.





13 درجة
الصدقات الجاريات



ترتقي درجة

إذا كنت من أصحاب الحسنات الجارية، وترتقي أعلى كلما كانت حصَّتُك من أنواعها أكثر.

قال رسول الله ﷺ:

«سبعٌ يجري للعبد أجرُّهن وهو في قبره بعد موته:

من علَّم عِلما،

أو أجرى نهرا،

أو حفَر بئرا،

أو غرس نخلا،

أو بنى مسجدا،

أو ورَّث مصحفا،

أو ترك ولدا يستغفر له بعد موته»(١).

من علَّم عِلما:

بينما العالم مُوسَّدٌ في قبره إذ تتوالى عليه الأجور، ويتتابع عليه الثواب على مر الدهور، وقديما قالوا (كتاب العالم ولده المُخلَّد)، بينما الآن حتى صوت العالم يبقى مسجلا في أشرطة تشتمل على دروسه ومحاضراته، فتنتفع به أجيالٌ لم يعاصروه، ومن ساهم في

(١) حسن: رواه البزار سمويه عن أنس كما في صحيح الجامع رقم: ٣٦٠٢.



طباعة الكتب النافعة ونشر المؤلفات المفيدة وتوزيع الأشرطة الدعوية، فقد سبق غيره وعلاه، ولذا قدَّموا نشر العلم على نوافل العبادة، فها هو حبر الأمة وبحر علمها **عبد الله بن عباس** رضي الله عنهما يقول:

«مذاكرة العلم ساعة أحب إلي من إحياء ليلة»(١).

وكان مستودع القرآن الغلام المعلَّم **عبد الله بن مسعود** رضي الله عنه يقول:

«لأن أجلس مجلس فقه ساعة أحب إليَّ من صيام يوم وقيام ليلة»(٢).

وهذا شيخ الإسلام وياقوتة العلماء **المعافى بن عمران** رحمه الله يقول:

«كتابة حديث واحد أحب إليَّ من قيام ليلة»(٣).

وهذا **قتادة** رحمه الله قدوة المفسرين والمحدثين يقول:

«باب من العلم يحفظه الرجل يطلب به صلاح نفسه وصلاح الناس أفضل من عبادة حول كامل»(٤).

فأرساها الإمام **الشافعيُّ** رحمه الله قاعدة:

«طلب العلم أفضل مِنْ صلاة النَّافلة»(٥).

ولذا لما سئل الشيخ **محمد بن عثيمين** رحمه الله:

أيهما أفضل:

مخالطة الناس بعد العشاء لتعليمهم وإرشادهم ونصحهم بحيث لا يمكن قيام الليل أو اعتزالهم حتى يتم قيام الليل؟

---

(١) الآداب الشرعية ٢/ ٤١.
(٢) الآداب الشرعية ٢/ ٤١.
(٣) التبصرة ١/ ١٩٣- ط دار الكتب العلمية.
(٤) المنتظم ٧/ ١٨٤.
(٥) آداب الشافعي ومناقبه ص ٧٢ - ابن أبي حاتم الرازي - دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

أجاب قائلًا:

«طلب العلم أفضل من قيام الليل؛ لأن طلب العلم كما قال الإمام **أحمد**: (لا يَعدلُهُ شيء لمن صحت نيته).

قالوا: كيف ذلك؟

قال: (ينوي به رفع الجهل عن نفسه وعن غيره).

فإذا كان الإنسان يسهر في أول الليل في طلب العلم ابتغاء وجه الله سواء كان يدرُسه أو يدرِّسه أو يعلِّمه، ثم يقول الليل فهو أفضل، لكن إذا تزاحم الأمران، فطلب العلم الشرعي أفضل وأولى.

ولهذا أمر النبي ﷺ **أبا هريرة** أن يوتر قبل أن ينام، قال العلماء: وسبب ذلك أن **أبا هريرة** كان يحفظ أحاديث الرسول أول الليل وينام آخر الليل، فأرشده النبي ﷺ إلى أن يوتر قبل أن ينام»(١).

أخي..

العلم مصباح يُستضاء به في ظلمة الجهل والهوى، فمن سار في طريق من غير مصباح لم يأمن الوقوع في أرض بوار، وقد رأى فيها سرابا ظنه عين ماء جارٍ، فناله الداء العضال من حيث أراد تحصيل الشفاء.

قال **محمد بن سيرين** رحمه الله:

«إن قوما تركوا العلم واتخذوا محاريب، فصلّوا وصاموا بغيرِ علم، والله ما عمل أحد بغير علمٍ إلا كان ما يُفسِد أكثر مما يُصلِح»(٢).

---

(١) كتاب العلم ١١٣ – محمد بن صالح بن محمد العثيمين – الناشر: مكتبة نور الهدى.
(٢) لطائف المعارف ١/ ١٢٥– دار ابن حزم.



تفصيلٌ هام!

لكن أفضلية طالب العلم ليست أفضلية مطلقة بل في الأمر تفصيلٌ وشرح، وليس مثل الإمام **الذهبي** رحمه الله يشرح لنا خبايا هذا الأمر ويستفيض فيه حتى قسمه إلى ثلاث حالات:

«هنا مسألةٌ مُختلف فيها:

هل طَلَب العلم أفضل أو صلاة النَّافلة والتلاوة والذِّكر؟

فأما من كان مخلصًا لله في طلب العلم، وذهنُه جيد، فالعلم أولى، ولكن مع حَظٍّ من صلاة وتَعَبُّدٍ (الحالة الأولي).

فإن رأيته مُجِدًّا في طلب العلم لا حظَّ له في القُرُبات، فهذا كسلان مهين، وليس هو بصادقٍ في حسن نيته (الحالة الثانية).

وأما من كان طلبُه الحديث والفقه غِيَّةً ومحبَّةً نفسانية، فالعبادة في حقه أفضل (الحالة الثالثة)»[1].

أجرى نهرًا:

ويلحق بهذا مدُّ الماء عبر الأنابيب إلى أماكن تواجد الناس، وكذلك وضع مبرِّدات الماء في الطرق والمساجد والساحات لتؤجر بكل شربة ماء من إنسان أو طير أو حيوان.

حفر بئرًا:

قال رسول الله ﷺ:

«من حفر بئر ماءٍ؛ لم يشرب منه كبد حرَّى من جِنٍّ ولا إنسٍ ولا طائرٍ إلا آجره الله

---

(١) لطائف المعارف ١/ ١٢٥ - دار ابن حزم.



يوم القيامة»[١].

وقد غفر الله لرجل سقى كلبا شربة ماء بِخُفِّه، ولامرأة بَغِيٍّ لنفس السبب، فكيف بمن حَفَرَ البئر وتسبَّب في وجودها حتى ارتوى منها خلقٌ كثير!

غرس نخلا:

في حديث **أنس** رضي الله عنه:

«ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا، فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة»[٢].

يغرس الإنسان غرسا وينساه، لكن تظل حسناته تتتابع عليه بعد موته.. وتنمو بازدياد في مفاجأة من أروع المفاجآت.

قال **المناوي** في فيض القدير:

«مقتضاه أن أجر ذلك يستمر ما دام الغرس مأكولًا منه، ولو مات غارسه أو انتقل ملكه لغيره»[٣].

وكل فسيلة خرجت من هذه النخلة ليغرسها فى الأرض غيرك، فهي في ميزان حسناتك من غير أن ينقص ذلك من حسناتهم شيئًا، ولذا أخذ **معاوية** رضي الله عنه في إحياء أرض وغرس نخل في آخر عمره فقيل له فيه فقال: ما غرسته طمعًا في إدراكه، بل حملني عليه قول **الأسدي** رحمه الله:

ليس الفتى بفتى لا يُستضاء به ... ولا يكون له في الأرض آثار[٤]

ومعلومٌ أن النخل سيد الأشجار وأفضلها وأنفعها وأكثرها فائدة للناس، فمن غرس نخلا وجعل ثمره للمسلمين، فإنَّ أجره يستمر ويجري كلما طعم من ثمره طاعم،

---

(١) صحيح الترغيب ٢/ ١٨٦ حديث رقم: ١٥٩٤.
(٢) صحيح البخاري ٣/ ٩٤ حديث رقم: ٢٣٢٠.
(٣) فيض القدير ٥/ ٤٨٠.
(٤) فيض القدير ٣/ ٣٠.

أو انتفع به إنسانٌ أو حيوان، وهكذا الشأن في غرس كل ما نفع الناس من الأشجار، وإنما خصَّ النخل بالذكر لفضله وتميُّزه.

بنى مسجدًا:

ومن الصدقات الجارية: بناء مسجد أو المساهمة في بنائه أو تجهيزه وتأثيثه، ففي صحيح **مسلم** من حديث **عثمان بن عفان** رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«من بنى مسجدا لله بنى الله له في الجنة مثله»(١).

قال **ابن الجوزي** رحمه الله:

«وقوله: **(بنى الله لَهُ فِي الْجَنَّة مثله)** ليس المراد به في المقدار، وإنَّما المُرَاد بني له بيتا، يدل عليه أن أجر الأعمال يُضَاعف. قال الله عز وجل: ﴿**مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَا**﴾ [الأَنْعَام: ١٦٠]، وقول رسول الله: **(من تصدق بِعدْل تمرة من كسب طيب فإن الله يقبلها، ثمَّ يُرَبِّيهَا حتَّى تكون مثل الجبل)**»(٢).

ورَّث مصحفًا:

وذلك بطباعة المصاحف أو شرائها ووقفها على المساجد ودور العلم حتى ينتفع بها المسلمون، ولواقفها أجرٌ عظيمٌ كلما تلا في هذا المصحف تالٍ، أو تدبَّر متدبر، أو عمل بآياته عامل.

ترك ولدًا يستغفر له:

تربية الأبناء من أفضل طرق ارتقاء أعالي الدرجات، وهي تضيف إلى العمر أعمارًا كثيرة، وتزيد المهلة الدنيوية الممنوحة للعبد أضعافًا مضاعفة، إن في ذلك لكنز عظيم لمن كان له عقل سديد ليحظى بعمر مديد.

(١) صحيح: صحيح مسلم ٢/ ٨٧٥ حديث رقم: ٥٣٣.
(٢) كشف المشكل من حديث الصحيحين ١/ ١٦١ – ابن الجوزي – ط دار الوطن – الرياض.



قال رسول الله ﷺ:

«إن الرجل لتُرفَع درجته في الجنة فيقول: أنى لي هذا؟ فيُقال: باستغفار ولدك لك»[1].

استغفار الولد يرفع درجات الوالد لأنه غرسه وثمرة تربيته، فترتفع الدرجات بعد انقطاع الحسنات، وما أروعها من جائزة، فكيف إذا جاءتك مفاجِئة! وما ظنُّك بالعبد الصالح إذا أُضيفَ لاستغفاره استغفار أولاده، درجات فوق درجات، ونعيمٌ يفوق الخيالات.. وقد نظم الإمام السيوطي رحمه الله هذه الحسنات الجاريات بعد الموت في أبيات جميلة، وأضاف إليها ما يشبهها مما جاءت به أحاديث أخرى، فقال:

إذا مات ابن آدم ليس يجري
عليه من فعالٍ غير عشرِ:
علومٌ بثَّها، ودعاء نَجْلِ
وغرس النَّخل، والصدقات تجري
وِراثةُ مصحفٍ، ورِباط ثغر
وحفر البئر، أو إجراءُ نهرِ
وبيتٌ للغريب بناه يأوي
إليه، أو بناءُ محلِّ ذكرِ



وقوله: «ورباط ثغر» فيه إشارة إلى حديث سلمان رضي الله عنه:

سمعتُ رسول الله ﷺ يقول:

«من رابط يوما وليلة في سبيل الله كان له كأجر صيام شهر وقيامه، ومن مات مرابطًا جرى له مثل ذلك من الأجر، وأُجرِي عليه الرزق، وأَمِنَ الفتَّان»[2].

(١) صحيح: رواه أحمد وابن ماجة عن أبي هريرة كما في صحيح الجامع رقم: ٢٤٩٧.
(٢) صحيح: رواه النسائي والحاكم عن سلمان كما في صحيح الجامع رقم: ٦٢٥٩.



أي ينمو له عمله إلى يوم القيامة ولا يتوقف مع خروج الروح، بل ينمو ما شاء الله له أن ينمو، ويرفع صاحبه درجات لم يبلغها بعمله؛ ليسبق غيره الذي جفَّ نهر حسناته بموته.

13 دركة السيئات الجاريات

دركة تمهيد

إذا لم تمت سيئاتك بموتك! قال **الشاطبي** رحمه الله:

«وسنَّ سنة سيئة يُعْمَلُ عليها من بعده؛ فيكون عليه وزرها بعد موته إلى مائة سنة ومائتي سنة، إلى أن يفنى ذلك الدرهم، ويكون عليه ما فسد ونقص من أموال الناس بسببه، وطوبى لمن مات وماتت معه ذنوبه، والويل الطويل لمن يموت وتبقى ذنوبه مائة سنة ومائتي سنة، يعذَّب بها في قبره، ويسأل عنها إلى انقراضها، وقال تعالى: ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ﴾ [يس: ١٢]»[١].

يموت العبد وتلاحقه ذنوبه، فكيف لو لاحقته ذنوب من كان سبب إغوائهم وتوالي سيئاتهم في حياته وبعد مماته؟! وهذه الملاحقة حاصلة لا محالة يوم القيامة ﴿يُنَبَّؤُا الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ [القيامة: ١٣]

قال **الطَّبري** رحمه الله:

«ما عَمِل قبل موته، وما سنَّ فعُمِل به بعد موته»[٢].

وقال **الزمخشري** رحمه الله:

«قدَّم من أعماله، وأخَّر من آثاره»[٣].

---

(١) الموافقات ص ٣٦١ - دار ابن عفان.
(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢٣/ ٤٨٩.
(٣) تفسير الزمخشري ٤/ ٧.



إخوتاه..

أمامكم دركات نارية فاحذروها:

- فيلم يتركه صاحبه لتشقى به الأجيال بعد موته، ويكون شقاؤهم في ميزان سيئاته، ويُحاسَب به في قبره.
- رواية إباحية أو تنشر أفكارًا منحرفة يؤلِّفها أو يشتريها أو يُهديها ويتركها نهبا لأيادي القُرَّاء.. يقرؤون هم ويأثم هو!
- يبث مقاطع فيديو محرمة في المواقع المشهورة مثل اليوتيوب وغيره، لتنزل باسمه وتزيد من إثمه.
- يشارك في مجموعات بريدية تنشر المواد والمقاطع الخبيثة ليتداولها من أُرسِلَت إليه، ويرسلها بدوره إلى العشرات غيره، في سلسلة مشؤومة لا تنتهي، وخطايا متتابعة متزايدة.
- ينشر على صفحته الأغاني الفاحشة والصور العارية، ولعلها تظل متداولة بعد موته عشرات السنين!
- يعلِّم الآخرين مسالك الإفساد وطرق الانحراف، ثم يموت ويدعهم في إفسادهم وإضلالهم.
- ينشر الشبهات والأفكار المنحرفة، ويورِّثها لتلامذة له ينهبون من حسناته، ويضاعِفون سيئاته.





14 درجة
أنفعهم للناس!

ترتقي درجة

إذا عمَّ نفعك غيرك، وغمر خيرك من حولك، وقد حسم نبينا ﷺ معيار الخيرية في الإخوان والجيران فقال:

«خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه، وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره»(١).

ولسان الحال نطق بما نطق به لسان المقال، ففي صحيح **البخاري** عن **أنس** رضي الله عنه:

كنا مع النبي ﷺ، أكثرنا ظِلا الذي يستظل بكسائه، وأما الذين صاموا فلم يعملوا شيئا، وأما الذين أفطروا فبعثوا الركاب وامتهنوا وعالجوا، فقال النبي ﷺ:

«ذهب المفْطِرون اليوم بالأجر»(٢).

فأخذوا الأجر الكامل الأوفر لتعدّي نفعهم إلى غيرهم، بينما كان للصائمين أجر صيامهم وحده لأن نفعهم اقتصر عليهم.

وقوله ﷺ: **«ذهَبَ المُفْطِرون اليوم بالأجر»**: يشير إلى أمرين:

الأول: أن أجر المفطرين قد بلغ في الكثرة بالنسبة إلى أجر الصائمين مبلغا ينغمر معه أجر الصوم، فكانت المبالغة وكأن الأجر كله للمفطرين لم يتركوا منه شيئا لغيرهم.

الثاني: إذا تعارضت المصالح قُدِّم أَوْلاها وأقواها وأفضلها، وهو ما يشير إلى أهمية فقه الأولويات، وهو ديدن المؤمن الفطن الذي لا يضرب مع الطاعات ضرب عشواء، بل يتخيَّر أعظمها أجرا وأعلاها قدرًا.

---

(١) صحيح: رواه أحمد والترمذي والحاكم عن عبد الله بن عمرو كما في صحيح الجامع رقم: ٣٢٧٠.
(٢) صحيح: رواه الشيخان وأحمد والنسائي عن أنس كما في صحيح الجامع رقم: ٣٤٣٦.

قال **أبو عبد الله بن أبى صفرة** رحمه الله: «فيه أن أجر الخدمة فى الغزو أعظم من أجر الصيام، إذا كان المفطر أقوى على الجهاد وطلب العلم وسائر الأعمال الفاضلة من معونة ضعيف أو حمل ما بالمسلمين إلى حمله حاجة»[1].

فكيف إذا كان من حولك اليوم قومٌ أحوج ما يكونون إلى نفعك!

قال **ابن مسعود** رضي الله عنه: «في آخر الزمان يكثر الحجاج بلا سبب؛ يهون عليهم السفر، ويُبسَط لهم في الرزق، ويرجعون محرومين مسلوبين، يهوي بأحدهم بعيره بين الرمال والقفار، وجاره مأسورٌ إلى جنبه لا يواسيه!»[2].

ولذا بذل السابقون أقصى ما يستطيعون وغاية ما يحتملون لقضاء حوائج الخلق، ولو كان فيها ذهاب ما يملكون، واسمع الإمام الرباني القدوة **محمد بن واسع** رحمه الله وهو يخبرنا عن خيره ونفعه المتعدّي لغيره، فجزم رحمه الله:

«ما رَدَدْتُ أحدًا عن حاجة أقدر على قضائها، ولو كان فيها ذهاب مالي»[3].

وهذا من فقههم وترتيب أولوياتهم الذي فهموه من سيرة نبيهم وعمل صحبه من بعده، فهذا **الحسن البصري** رحمه الله يعيد لك ترتيب اهتماماتك، وتنظيم أوراقك، ويقرِّر:

«لأن أَقْضيَ لمسلمٍ حاجةً أحبُّ إليَّ مِنْ أن أُصلِّي ألف ركعة»[4].

ترتقي درجة

إذا كان نفعك لغيرك بفوات نفعك! وهذه هو الإيثار، والإيثار دليلٌ على تقديمك للحظوظ الأخروية على الدنيوية، وعلامة بلوغ قلبك آفاقا إيمانية عالية قال عنها **القرطبي** رحمه الله:

«وذلك ينشأ عن قوّة اليقين وتوكيد المحبّة، والصّبر على المشقّة»[5].

---

(١) شرح صحيح البخارى لابن بطال ٥/ ٨٤ - مكتبة الرشد - السعودية، الرياض.
(٢) إحياء علوم الدين ٣/ ٤٠٩.
(٣) قضاء الحوائج لابن أبي الدنيا ١/ ٦٤ - ط مكتبة القرآن.
(٤) قضاء الحوائج لابن أبي الدنيا ١/ ٤٨.
(٥) شرح صحيح البخاري لابن بطال ٧/ ٣٥.

وكان هذا سمتَ الصحابة وديدنهم، فقد روى **عبد الله بن عمر** رضي الله عنهما عما رآه بنفسه، وكان حدثًا جليلًا استدعى نزول الوحي من السماء! فقال:

أُهدِي لرجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رأس شاة، فقال: إنَّ أخي فلانًا وعياله أحوج إلى هذا منا، فبعث به إليهم، فلم يزل يبعث به واحد إلى آخر حتى تداولها أهل سبعة أبيات حتى رجعت إلى الأوَّل، فنزلت: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[الحشر ٩][1].

وإنما فعلوا هذا لإيثارهم ما عند الله، فجادوا بدنياهم ليربحوا آخرتهم، واقتفى **ابن عمر** رضي الله عنه الأثر جيدًا، وآثَر غيره على نفسه ليقينه بالجزاء وطمعه في ما عند الله من جزيل العطاء، فأعتق جاريةً أحبها أشد الحب بسبب آية: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢]، ثم ابتغَتْها نفسُه، فأراد أن يتزوجها فمنعه بنوه، فكان بعد ذلك يُقرِّب بنيها من غيره لمكانها من قلبه[2].

أفضل من تكرار الحج!

والعبادة متعدِّية النفع أثقل في ميزان العبد، ولذا فالإنفاق في سبيل الله قد يكون مقدما على نوافل العبادة، ومن ذلك ما رُويَ:

«أن رجلا جاء يودِّع **بشر بن الحارث** رحمه الله وقال: عزمت على الحج فتأمرني بشيء؟

فقال **بِشْر** رحمه الله: فكم أعددت للنفقة؟ فقال الرجل: ألفي درهم.

فقال **بِشْر** رحمه الله: فأي شيء تبتغي بحَجِّك؟ تزهدا أو اشتياقا إلى البيت أو ابتغاء مرضاة الله؟

قال الرجل: ابتغاء مرضاة الله!

(١) الدر المنثور ٨/ ١٠٧.
(٢) شرح صحيح البخاري لابن بطال ٧/ ٣٥.

قال **بِشْر** رحمه الله: فإن أصبت مرضاة الله وأنت في منزلك وتنفق ألفي درهم وتكون على يقين من مرضاة الله.. أتفعل ذلك؟!

قال الرجل: نعم!

قال **بشر**: اذهب فأعطِها عشرة أنفس:

مديون يقضي دينه.. وفقير يَلُمُّ شَعثَه.. ومُعيل يُغني عياله.. ومربي يتيم يفرحه..

وإن قوي قلبك تُعطِها واحد فافعل، فإن إدخالك السرور على قلب المسلم وإغاثة اللهفان وكشف الضر وإعانة الضعيف أفضل من مائة حجة بعد حجة الإسلام»[١].

14 دركة أضرِّهم للناس!

دركة تيهم

بالإضرار بالخلق عن طريق **الظُّلم**، وصعوبة عقوبة الظالم أنه يأتي يوم القيامة بحسنات يظن معها النجاة، فيُفاجأ أن المظلومين يقطعون عليه الطريق ويشكونه، وإلى من؟ إلى رب العزة، فيأكل الظلم حسناته، ثم يهوي به في دركات النار! في حديث النبي ﷺ عن **ابن مسعود** رضي الله عنه في وصفٍ تفصيلي لهذه المفاجأة المفزعة:

«اتقوا الظُّلم ما استطعتم، فإن العبد يجيء بالحسنات يوم القيامة يرى أنها ستُنجيه، فما زال عبدٌ يقول: يا رب! ظلَمَني عبدك مظلمة، فيقول امحوا من حسناته، وما يزال كذلك حتى ما يبقى له حسنةٌ»[٢].

تُمحَى سيئاته أمام عينيه ليزداد حسرة مع كل حسنة مبعثرة، فإن الله يسامِح في حقه،

(١) إحياء علوم الدين ٣/ ٤٠٩.
(٢) صحيح لغيره: رواه أبو يعلى عن ابن مسعود، ورواه أحمد والطبراني بإسناد حسن نحوه باختصار كما في صحيح الترغيب والترهيب رقم: ٢٢٢١.

ولكنه لا يسامح أبدًا في حق عباده إلا أن يعفون! فهذا الظلم لا تمحوه المكفِّرات، ولا ينفع فيه سوى التحلل من المظلوم، وهذا يحتاج منك أن تعرف (**أي الظلم أعظم**)، وذلك لتجتنبه، وتفصيله ما جاء في الحديث:

«الظلم ثلاثة!

فظلمٌ لا يغفِره الله، وظلم يغفره، وظلم لا يتركه.

فأما الظلم الذي لا يغفره الله فالشرك. قال الله: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾.

وأما الظلم الذي يغفره فظلم العباد أنفسهم فيما بينهم وبين ربهم.

وأما الظلم الذي لا يتركه الله فظلم العباد بعضهم بعضا حتى يدبِّر لبعضهم من بعض»[(١)].

إن الظلم اغتصاب حق دون وجه حق، وكلما زاد الغصب وعمَّ الأذى كانت عقوبة الظالم أشد ومكوثه في النار أطول، وإذا كانت النار هي العقوبة التي توعَّد الله بها من غصب عودًا من سواك، فكيف بما هو أعلى وأغلى؟!

قال رسول الله ﷺ:

«من اقتطع حقَّ امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار، وحرَّم عليه الجنة، وإن كان قضيبا من أراك»[(٢)].

عذاب الله أثرٌ من آثارِ غضبه، و**«من اقتطع أرضا ظالما لقي الله وهو عليه غضبان»**[(٣)]، وغضب الرحمن لا يُطفأ يوم القيامة.. كان ذلك ممكنًا في الدنيا.. أما في الآخرة فقد تأخَّر المسكين في تسكين غضب رب العالمين! إلا أن يعفو الله أو يُكرِمه بشفاعة.

---

(١) حسن: رواه الطيالسي والبزار عن أنس كما صحيح الجامع رقم: ٣٩٦١ والسلسلة الصحيحة رقم: ١٩٢٧.
وجاء تفصيل ذلك في الحديث الذي أخرجه البخاري من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إذا خلص المؤمنون من النار حُبسوا بقنطرة بين الجَنَّة والنار، فيتقاصّون مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا نُقّوا وهُذِّبوا أُذِن لهم بدخول الجنَّة**».

(٢) صحيح: رواه أحمد ومسلم والنسائي وابن ماجة عن أبي أمامة الحارثي كما في مختصر مسلم رقم: ١٠١٦.

(٣) صحيح: رواه أحمد ومسلم عن وائل كما في صحيح الجامع رقم: ٦٠٧٥.

بل ويفتضح الغاصب على رؤوس الأشهاد حين يأتي بما غصبه في ساحة الحشر ليفتضِح به، فقد أخبر الصادق المصدوق:

«من أخَذَ من الأرض شيئا ظلما جاء يوم القيامة يحمل تُرابها إلى المحشر»[١].

دركة تهوي

إذا مسَّ هذا الظلم أقرب الناس إليك، فإن نال جارك ظلمك -وهو صاحب الحق المضاعف عليك لإسلامه وجيرته- حتى آذاه وأخرجه، فقد نالك وعيد **ثوبان** رضي الله عنه حين قال:

«وما من جارٍ يظلم جاره ويقهره، حتى يحمله ذلك على أن يخرج من منزله، إلا هلك»[٢].

ومن أقرب الناس إليك زوجتك، فإن نالها هذا الظلم انفضَحتَ به يوم القيامة على رؤوس الخلائق، فقد قال رسول الله ﷺ:

«من كانت له امرأتان، فمال إلى إحداهما جاء يوم القيامة وشِقُّه مائل»[٣].

دركة تهوي

إن بخَسْتَ زوجتك حقَّها في صداقها ونفقتها، وهو ما قال فيه **عبد الله بن مسعود** رضي الله عنه:

«يؤخذ بيد العبد والأمة يوم القيامة، فيُنصَبان على رؤوس الأولين والآخرين، ثم ينادي منادٍ: هذا فلان ابن فلان، فمن كان له قبله حق فليأت إلى حقه، فتفرح المرأة أن يدور لها على زوجها الحق، أو على ابنها، أو على أختها»، ثم قرأ **عبد الله** رضي الله عنه: ﴿فَلَآ أَنسَابَ

(١) صحيح: رواه أحمد والطبراني عن يعلى بن مرة كما في صحيح الجامع رقم: ٥٩٨٤.
(٢) صحيح: رواه البخاري في الأدب المفرد عن ثوبان كما في صحيح الجامع المفرد رقم: ٩٤.
(٣) صحيح: رواه أحمد وأبو داو والنسائي وابن ماجة عن أبي هريرة كما في صحيح الجامع رقم: ٦٥١٥. قال الطحاوى: «وكأن معنى هذا الحديث عندنا على الميل إليها بغير إذن صاحبتها له فى ذلك، فأما إذا أذنت له فى ذلك وأباحته، فليس يدخل فى هذا المعنى كما فعلت سودة حين وهبت يومها لعائشة؛ لأن حقها إنما تركته بطيب نفسها، فهى فى حكمها لو لم يكن له امرأة غيرها». شرح صحيح البخارى لابن بطال ٧/ ٣٣٦، ٣٣٧.



﴿بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١]»[1].

ومن أقرب الناس إليك ولدك، فإن ناله هذا الظلم، فآثرت ولدًا على آخر، فلقد تبرأ رسول الله من مثل هذا، فعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما أن أباه أتى به رسول الله ﷺ فقال: إني نَحِلتُ ابني هذا غلاما كان لي، فقال ﷺ:

«أكل ولدك نحلته مثل هذا؟» فقال: لا، فقال ﷺ: «فلا تُشهِدني إذا، فإني لا أشهد على جور». وفي رواية: «أشهد على هذا غيري!».

والمقصود ليس على ظاهره، بل المراد التوبيخ والتبرؤ منه لا إباحته، فما كان من بشير رضي الله عنه إلا أن رجع بتلك الصدقة كعادة الصحابة في الوقوف عند حدود الله.

دركة تهوي

إذا كان هذا الظلم تعذيب بشَر! وعقوبته من جنس عمله، فيأتيه العذاب جزاء وفاقا من ربِّ البشَر! أخرج الإمام مسلم من حديث هشام بن حكيم رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

«إن الله تعالى يُعذِّبُ يوم القيامة الذين يُعَذِّبُون الناسَ في الدنيا»[2].



ألا وشهادة الزور!

وإن شهادة الزور من أعظم الظلم، واسمع القصة المرعبة التي جرت وقائعها مع محمد بن بشير القاضي رحمه الله، لعلها تخلع قلبك خوفا من ظلم غيرك، وتملؤك وجلا من عاقبة بغيك:

«وشهد عنده رجلان ممن يُظنُّ بهما خيرًا لمملوكٍ لمتوفى (عبدٌ مات عنه سيِّده)، أن

(١) حلية الأولياء ٤/ ٢٠١.
(٢) صحيح: رواه أحمد ومسلم وأبو داود عن هشام بن حكيم، وأحمد والبيهقي عن عياض بن غنم كما في صحيح الجامع رقم: ١٩٠٠.

مولاه أعتقه وزوَّجه ابنته، وأوصى إليه بماله، وقضى بشهادتهما، فلم يلبث أحد الشاهدين أن حضرته الوفاة، فأوصى إلى القاضي أنه يريده، فدخل عليه، فلما أبصر به الشاهد، وهو في كربة، جثا على ركبتيه، وجعل ينجرُّ إليه، فقال له القاضي: ما شأنك؟

فقال: إني في النار إن لم تنقذني منها! الشهادة التي شهدت بها عندك بفلان لم يكن منها شيء، فاتَّقِ الله، وافسخ الحكم.

فلم يزد محمد بن بشير على أن وضع يديه على ركبتيه، ثم قام وجعل يقول:

قُضِي الحكم، وأنت في النار! وخرج عنه.

قال القاضي عياض: ما فعله ابن بشير من إمضاء الحكم صواب، وقوله وأنت في النار دون استثناء.. لعلَّه قصد به الإغلاظ لأمثاله من شهداء السوء، وإلا فحتمية الله في العفو عنه من وراء هذا بفضلة، بقبول توبة مثله، ومحو سيئته بها؛ موعود به»[1].

دركة تهوي

كلما ازداد الظلم واتسعت دائرة المظلومين، ليزداد العذاب مدَّة وشِدَّة! ولا عجب، فكثرة من نالتهم نار الظالم يرفع تكاليف القصاص عليه غدا، ولذا كان ظلم الشعوب أعظم الظلم، لأنه ليس ظلم فرد بل ظلم أمة، وقد أخبر رسول الله ﷺ عن أشد الناس عذابا في الآخرة، وكيف أنه أكثرهم مسؤولية في الدنيا:

«أشدُّ الناس يوم القيامة عذابا إمامٌ جائر»[2].

دركة تهوي

أيها الظالم إذا أمهلك الله، ومدَّ لك في الدنيا ليزداد إثمك ويتضاعف وزرك دون أن يعاجِلك بعقوبة، ومن ثمَّ يشتد عذابك ويطول في النار

---

(١) ترتيب المدارك وتقريب المسالك ٣/ ٣٣٢ - القاضي عياض - مطبعة فضالة بالمغرب نقلا عن كتاب مشاهد الناس عند الموت - عبد الرحمن خليف - مكتبة مدبولي.

(٢) حسن: رواه الطبراني وأبو نعيم عن أبي سعيد كما في صحيح الجامع رقم: ١٠٠١.



مقامك، وشتان بين ظالمٍ ينال عقوبته في الدنيا، فيُخفِّف ذلك عنه من عذاب يوم القيامة، وبين ظالمٍ أخَّر الله كل عقوبته إلى الآخرة!

الظلم مُعبِّرٌ عن ظُلمة قلبِ صاحبه، واستشرافٌ للظُّلمة التي سيغرق فيها يوم القيامة!

دركة تهوي

إذا ظلمت غيرك، فماطلت في الوفاء بالدَّيْن مع قدرتك عليه، خاصة إذا تكرَّر حتى صار عادةً تُعرَف بها، ففي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «مُطْل الغني ظلم»[1].

دركة تهوي

إن وقعت في أبشع الظلم، وأبشع الظلم هو ما يستوجب خصومة الله يوم القيامة! ومن يطيق هذه الخصومة؟! اسمع وعِ:

«قال الله تعالى: ثلاثةٌ أنا خصمهم يوم القيامة:

رجلٌ أعْطِيَ بي ثمَّ غَدَر..

ورجلٌ باع حُرًّا فأكل ثمنه..

ورجل استأجَر أجيرا فاستوفى منه ولم يُعْطِهِ أجْرَه»[2].

وذِكْرُ الثلاثة هنا للتغليظ لا للتقييد، وإلا فإن الله خصم كل ظالم!

وهؤلاء الخصوم الثلاثة هم:

الأول: «رجلٌ أُعطِي بي ثم غدر»:

أي عاهد عهدا، وحلَفَ بالله عليه ثم نقضه، فمن أبشع الظلم الغدر، ولذا يفضحه

(١) صحيح: رواه الشيخان عن أبي هريرة كما في صحيح الجامع رقم: ٥٨٧٥.
(٢) صحيح: رواه البخاري عن أبي هريرة كما في صحيح البخاري رقم: ٢٢٢٧.

الله يوم القيامة ويرفع له راية خاصة بالغدر! فكيف له صاحَبَه يمين غموس وحلِفٌ بالله كذبًا.

الثاني: «ورجل من عباده باع حرًا وأكل ثمنه»:

بأن استرقَّه وحرمه من حريته، وهو من أبشع الظلم، وهذا الزجر الشديد لمن استعبد رجلًا واحدًا، فما ظنُّك في من استعبد أقواما، واغتصب حقوق شعبه، وأكل حقوقهم؟!

الثالث: «ورجل اسْتأجَر أجيرا فاستوفى منه ولم يُعْطِه أجْرَه»:

استأجر أجيرًا بأجر مخصوص، فاستوفى منه عمله، ولم يُعطِه أجره.



أشدُّ حديث في القصاص!

وهو الحديث الذي رحل في طلبه الصحابي الجليل جابر بن عبد الله رضي الله عنه شهرًا كاملًا!! واسمع إليه يقصُّه عليك:

بلغني حديثٌ عن رجلٍ سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشتريتُ بعيرا، ثم شددْتُ عليه رحلي، فَسِرتُ إليه شهرا، حتى قدمت عليه الشام فإذا عبد الله بن أنيس رضي الله عنه، فقلتُ للبوّاب: قل له: جابر على الباب.

فقال: ابن عبد الله؟

قلت: نعم.

فخرج يطأ ثوبه فاعتنقني، واعتنقته، فقلت:

حديثٌ بلغني عنك أنك سمعتَه من رسول الله صلى الله عليه وسلم في القصاص، فخشيتُ أن تموت، أو أموت قبل أن أسمعه!

قال: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

«يُحشَر الناس يوم القيامة -أو قال: العباد- عُراة غُرْلا بُهْما».

قال: قلنا: وما «بُهْماً»؟

قال: «**ليس معهم شيء.**

ثم يناديهم بصوت يسمعه من بُعْدٍ كما يسمعه مِنْ قُرْبٍ: أنا الملك، أنا الديان..

ولا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار وله عند أحدٍ من أهل الجنة حقٌّ، حتى أُقُصَّه منه.

ولا ينبغي لأحدٍ من أهل الجنة أن يدخل الجنة ولأحد من أهل النار عنده حق، حتى أُقُصَّه منه، حتى اللطمة!

قال: قلنا: كيف وإنا إنما نأتي الله عز وجل عراة غرلا بهما؟

قال: بالحسنات والسيئات»[1].

فيأخذ المظلوم من حسنات الظالم حتى تنفد، فإذا نفِدت حسناته طُرِح على الظالم من سيئات المظلوم، فليس لظلم العباد دواء سوى التحلل منه اليوم أو القصاص غدا.

ولذا فديوان ظالم العباد يهوي بصاحبه إلى دركةٍ أسفل من دركة الظالم لنفسه. قال **سفيان الثوري** رحمه الله:

«إن لقيتَ الله تعالى بسبعين ذنبا فيما بينك وبين الله تعالى أهون عليك من أن تلقاه بذنب واحد فيما بينك وبين العباد»[2].



(١) حسن: رواه أحمد عن جابر كما في مسند أحمد رقم: ١٦٠٤٢، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده حسن.
(٢) تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي ١/ ٣٨٠ - دار ابن كثير.



آخر من يدخل الجنة!

عن **أبي هريرة** ﵁ أنَّ النَّاس قالوا:

يا رسول الله.. هل نرى ربَّنا يوم القيامة؟

فقال رسول الله ﷺ في حديث طويل متحدِّثا عن آخر أهل النار دخولًا الجنة:

«... وأراد أن يُخرِج برحمته من أراد من أهل النار، أمَرَ الملائكة أن يُخرِجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئا، ممن أراد الله أن يرحمه، ممن يشهد أن لا إله إلا الله، فيعرفونهم في النار بأثر السجود، تأكل النار ابن آدم إلا أثر السجود، حرَّم الله على النار أن تأكل أثر السجود، فيُخرَجون من النار، قد امْتُحِشُوا، فيصُبُّ عليهم ماء الحياة، فينبتون تحته كما تنبت الحَبَّة في حميل السيل، ثم يفرغ الله من القضاء بين العباد، ويبقى رجل منهم مُقبِلٌ بوجهه على النار، هو آخر أهل النار دخولا الجنة، فيقول:

أي رب اصرف وجهي عن النار، فإنه قد قَشَبني ريحُها، وأحرقني ذَكاؤها!

فيدعو الله بما شاء أن يدعوه، ثم يقول الله: هل عسيت إن أعطيتك ذلك أن تسألني غيره؟

فيقول: لا. وعزتك، لا أسألك غيره، ويُعطي ربه من عهود ومواثيق ما شاء، فيصرِف الله وجهه عن النار، فإذا أقبل على الجنة ورآها سكت ما شاء الله أن يسكت، ثم يقول:

أي رب، قدِّمني إلى باب الجنة..

فيقول الله له: ألست قد أُعطيتَ عهودك ومواثيقك أن لا تسألني غير الذي أعطيت أبدًا؟ ويلك يا ابن آدم ما أغدرك، فيقول: أي رب، ويدعو الله، حتى يقول:

هل عسيتَ إن أعطيتُ ذلك أن تسأل غيره؟

فيقول: لا وعزتك.. لا أسألك غيره، ويُعطي ما شاء من عهود ومواثيق، فيقدِّمه إلى باب الجنة، فإذا قام إلى باب الجنة، انفهَقَت له الجنة، فرأى ما فيها من الحبرة والسرور، فيسكت ما شاء الله أن يسكت، ثم يقول:

أي رب.. أدخلني الجنة.

فيقول الله: ألست قد أعطيت عهودك ومواثيقك أن لا تسأل غير ما أعطيت؟ فيقول: ويلك يا ابن آدم ما أغدرك.

فيقول: أي رب، لا أكونن أشقى خلقك فلا يزال يدعو حتى يضحك الله منه، فإذا ضحك منه، قال له: ادخل الجنة، فإذا دخلها قال الله له:

تَمَنَّهْ!

فسأل ربه وتمنى، حتى إن الله ليُذَكِّره، يقول كذا وكذا (لطفا وكرَمًا وجودًا وبِرًا)، حتى انقطعت به الأماني، قال الله:

ذلك لك، ومثله معه.

قال **عطاء بن يزيد**: **وأبو سعيد الخدري** مع **أبي هريرة** لا يرُدُّ عليه من حديثه شيئًا؛ حتى إذا حدَّث **أبو هريرة** أن الله تبارك وتعالى قال:

«ذلك لك ومثله معه»، قال **أبو سعيد الخدري**:

«وعشرة أمثاله معه» يا **أبا هريرة**!



قال **أبو هريرة**:

ما حفظت إلا قوله:

«ذلك لك ومثله معه».

قال **أبو سعيد الخدري**:

أشهد أني حفظت من رسول الله ﷺ قوله:

«ذلك لك وعشرة أمثاله».

قال **أبو هريرة** رضي الله عنه:

«فذلك الرجل آخر أهل الجنة دخولًا الجنة!» [صحيح].

هذا حديث يمزج الخوف بالرجاء، فهذا رجلٌ هو آخر من يدخل الجنة بعد مكوثه أحقابًا لا يعلمها إلا الله في نار جهنم.

ولمن يستهين بمدة مكوثه في النار مادام سيموت على التوحيد ويدخل الجنة أقول:

من يطيق مكوث أيام في النار، واليوم منها بألف عام، فكيف لو كان نصيبه من النار عدة أعوام؟!

إن عمرك الدنيوي كله ما هو إلا ذرة رمل متناثرة في صحراء واسعة هي الآخرة، فماذا ينتظرك فيها أيها المستخِف بالحساب..

المستهين بالعقاب..

يا صاحب النار..

ما تساوي قطرة نعيم دنيوي ذُقته في بحر عذاب الآخرة؟!

إنها الحقيقة الحاضرة الغائبة!



الحاضرة لكل تقِي..

الغائبة عن الأشقياء!

ليس السعيد الذي دنياه تُسعِده إن السعيد الذي ينجو من النـار

فيا كل من اشترى بغير ثمن!

حُفَّت الجنة بالمكاره وأنت تكرهها، فكيف الوصول؟!

وحُفَّت النار بالشهوات وأنت تطلبها، فكيف النجاة؟!

ألا ما أعذب ألم الدنيا إذا كان جسرا إلى النعيم..

وما أشقى نعيم الدنيا إذا كانت خطوة نحو الجحيم..

وأي فائدة في لذة أيامٍ تورث حسرة أعوام؟!

يا صاحب القلب البارد!

إن لم يُشعِل خوف النار حرارة قلبك اليوم..

فغدا يشتعل نارا في قعر جهنم!

لما اشتد شوق الفراش إلى النارتعجَّل احتراقه..

ويأبى كثيرٌ من الناس إلا أن يسلك نفس الطريق وباقتدار!

أما عشاق السبق.. وقادة الركب..

فقومٌ علموا أن راحتهم مفقودة مذ وُلِدوا..

وأنهم لن يجدوها إلا مع أول قدم يضعونها في الجنة!

الملتقى هناك!



15 درجة المعارَضات النفسية!

وهذا تعبير الشيخ **عبد الرحمن السعدي** رحمه الله، والمقصود بها هنا الظروف التي تقاوم فيها نفسك الأمارة بالسوء، فتمضي في فعل الخيرات منتصرًا عليها، مكرِهًا لها على المضي قُدُمًا في طريق الخير وإن عاكستك، وهاك أمثلة:

عند الفتور والكسل..

قال رسول الله ﷺ: **«إن لكل عمل شِرَّة، ولكل شِرَّة فترة، فمن كان فترته إلى سنتي فقد اهتدى، ومن كانت إلى غير ذلك فقد هلك»**[١].

كيف لا يكون فتورك بداية قصورك؟ كيف لا يكون كسلك مفتاح حتفك!

إن الفتور بعد الشِّرَّة طبيعة بشرية، ولذا قال **ابن القيِّم** رحمه الله:

«لابد من سِنة الغفلة ورقاد الهوى، ولكن كن خفيف النوم»[٢].

وجاء في المدارج:

«فتَخَلُّل الفترات للسالكين أمرٌ لازم لابد منه، فمن كانت فترته إلى مقاربة وتسديد، ولم تُخرجه من فرض، ولم تدخله في محرَّم: رُجي له أن يعود خيرًا مما كان»[٣].

لكنَّ طريقة التعامل مع الفتور هي ما ميَّز السابقين بالخيرات عن ظالمي أنفسهم.

الفتور إما أن يكون استراحة محارب أو استسلامًا وانتكاسًا، وبحسب حالك عند الفتور تتفاوت الدرجات وتُوَزَّع في الجنة المنازل!

---

(١) صحيح: رواه البيهقي عن ابن عمرو كما في صحيح الجامع رقم: ٢١٥٢.
(٢) الفوائد ١/ ٤١ – ط دار الكتب العلمية.
(٣) مدارج السالكين ٣/ ١٢٢ – ط دار الكتاب العربي.



عند ضعف النتائج..

داعية دعا قومه ليلًا ونهارًا، فلم يستجب فما ترك دعوته، وما كسل ولا فتر..

ما زاده إقبال الناس عليه حماسة، ولا دفعه انصراف الناس عنه إلى تقليل نشاطه وحركته.. هو كما وصفوه: «يستر القدرة ويأخذ الأجرة»

لذا فما دام الأجر جاريًا فهو لايزال عاملًا مجاهدًا..

إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها، فلم الفتور؟!

وكيف التراجع عن مواطن الأجور!

يقول **مصطفى صادق الرافعي** رحمه الله:

«أخصُّ الخصائص الإسلاميه في هذه الدنيا:

الثبات على الخطوة وإن لم تتقدم..

وعلى الحق وإن لم يتحقق..

والتبرؤ من الأثرة وإن شحَّت عليها النفس..

واحتقار الضعف وإن حكم وتسلط..

ومقاومة الباطل وإن ساد وغلب..

وحمل الناس على محض الخير وإن ردُّوا بالشر..

والعمل للعمل وإن لم يأت بشيء..

والواجب للواجب وإن لم يكن فيه فائدة..

وبقاء الداعية داعية وإن حَطِمه كل من حوله!»[1].

عند سخرية الناس أو الخوف منهم:

ترتقي درجة

إذا كنت في غربة بسبب ثباتك على الحق تخاف معها على نفسك ومالك، ولذا كان أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر.

(١) وحي القلم ٢/ ١٦ – ط دار الكتب العلمية.



قال رسول الله ﷺ:

«أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر»[١].

وقد مدَح الله الذين يُجاهدون في سبيل الله، ولا يخافون لومة لائم، وهي علامة قوة يقين، وصدق إيمان.

وهي بيعة الصحابة الأُوَل، والأساس الذي أرساه نبينا في نفوسهم منذ أيام إسلامهم الأولى.. ففي الصحيحين عن **عبادة** رضي الله عنه قال:

«بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة...، وأن نقوم أو نقول بالحق حيث ما كنا؛ لا نخاف في الله لومة لائم».

15 دركة المعارضات النفسية!

وقد تكون هذه المعارضات طريق خسـران وعلامة خذلان إذا استسلمتَ لها، فمثلا:

◎ عند الفتور والكسل..

دركة تهوي

إذا ساق الفتورُ إيمانَك نحو القبور! وذلك بانتهاك الحرمات والتقصير في الواجبات، فالفتور قاتل صامت وعدوٌّ ماكر.

قال **أبو الدرداء** رضي الله عنه:

«إن من فقه العبد أن يتعاهد إيمانه وما نقص منه، ومن فقه العبد أن يعلم أمزداد هو أم مُنتَقِص؟ وإن من فقه الرجل أن يعلم نزغات الشيطان أنّى تأتيه؟»[٢].

---

(١) صحيح: رواه ابن ماجة عن أبي سعيد وأحمد والطبراني عن أبي أمامة كما في صحيح الجامع رقم: ١١٠٠.
(٢) شرح أصول الاعتقاد ٥/ ١٠١٦ - أبو القاسم اللالكائي - دار طيبة - السعودية.



دركة تهوي

إذا كنت قدوة أو رمزًا، فأدى فتورك إلى فتور من حولك، وانتكس بانتكاستك خلقٌ كثير، من كانوا يدورون حول مدارِك الخيري، ولما انتكستَ انتكسوا، ولحقوا بك دون تردد.

دركة تهوي

إن طال موسم فتورك فلم يكن يوما أو يومين، أو جمعة أو جمعتين، بل صار إلى الدوام أقرب!

◎ عند تأخر النتائج..

تؤدي عند بعضهم إلى ترك العمل، والانقطاع بعد النشاط، وهي علامة من علامات ضعف الإخلاص، ولذا قالوا:

«إنما يتعثَّر من لم يخلص»[١].

وكيف يتخلَّف عن الركب من طمِع في نيل الأجر من الرب؟! وانظر كيف حثَّ النبي ﷺ على العمل ولو لم يكن من ورائه أي ثمرة، ففي حديث **أنس** رضي الله عنه:

«إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسَها فليغرسها»[٢].

قال الأستاذ **محمد قطب** رحمه الله:

«والدعاة خاصة لهم في هذا الحديث درس أي درس، فالدعاة هم أشد الناس تعرضًا لنوبات اليأس، وأشدهم حاجة إلى الثبات!

قد ييأس التاجر من الكسب، ولكن دفعة المال لا تلبث أن تدفعه مرة أخرى إلى السير في الطريق.

---

(١) صيد الخاطر ص ٣٦٧.

(٢) صحيح: رواه أحمد والبخاري في الأدب المفرد عن أنس كما صحيح الجامع رقم: ١٤٢٤.

قد ييأس السياسي من النصر، ولكن تقلبات السياسة لا تلبث أن تفتح له منفذًا فيستغله لصالحه.

قد ييأس العالم من الوصول إلى النتيجة ولكن المثابرة على البحث والتدقيق كفيلة أن توصله إلى النهاية.

كل ألوان البشر المحترفين حرفة مُعرَّضون لليأس، وهم في حاجة إلى التشجيع الدائم، والحث الطويل، ولكنهم مع ذلك ليسوا كالدعاة في هذا الشأن، فأهدافهم غالبًا ما تكون قريبة، وعوائقهم غالبًا ما تكون قابلة للتذليل.

وليس كذلك المصلحون.

إنهم لا يتعاملون مع المادة ولكن مع (النفوس)، والنفوس أعصى من المادة، وأقدر على المقاومة وعلى الزيغ والانحراف.

والسُّمُّ الذي يأكل قلوب الدعاة هو انصراف الناس عن دعوتهم، وعدم الإيمان بما فيها من الحق، بل مقاومتها في كثير من الأحيان بقدر ما فيها من الحق، وعصيانها بقدر ما فيها من الصلاح!

عندئذ ييأس الدعاة، ويتهاوون في الطريق!

إلا من قبست روحه قبسة من الأفق الأعلى المشرق الطليق، إلا من أطاقت روحه أن يغرس الفسيلة ولو كانت القيامة تقوم اللحظة عن يقين!

الدعاة أحوج الناس إلى هذا الدرس، أحوج الناس أن يتعلموا عن الرسول ﷺ هذا التوجيه العجيب الذي تتضمنه تلك الكلمات القليلة البسيطة الخالية من الزخرف والتنسيق.

هم أحوج الناس أن يقبسوا من قبسات الرسول هذه اللمحة المضيئة الكاشفة الدافعة الموحية، فتنير في قلوبهم ظلمة اليأس، وتغرس في نفوسهم نبتة الأمل، كما تغرس الفسيلة في الأرض لتثمر بعد حين.



إنه يقول لهم:

ليس عليكم ثمرة الجهد، ولكن عليكم الجهد وحده، ابذلوه ولا تتطلعوا إلى نتائجه! ابذلوه بإيمان كامل أنَّ هذا واجبكم وهذه مهمتكم، وأنَّ واجبكم ومهمتكم ينتهيان بكم هناك عند غرس الفسيلة في الأرض، لا في التقاط الثمار»[١].

◎ عند سخرية الناس أو الخوف منهم:

في الحديث النبوي:

«ألا لا يمنعنَّ أحدكم مخافة الناس أن يقول بالحق إذا رآه»[٢].

وقد مدح الله الذين يُجاهدون في سبيل الله، ولا يخافون لومة لائم.

ولذا لما تولي **معاوية** رضي الله عنه الخلافة كتب إلى **عائشة** رضي الله عنها أن اكتبي إليَّ كتابًا توصيني فيه ولا تُكثِري، فكتبت: سلامٌ عليك! أما بعد، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

«من أرضى الناس بسخط الله وكَلَه الله إلى الناس، ومن أسخَط الناس برضا الله كفاه الله مؤنة الناس»[٣].

قال **ابن القيِّم** رحمه الله وهو يضرب أمثلة لمن سقطوا في هذه الدركة:

«وهذا يجري في من يُعين الملوك والرؤساء على أغراضهم الفاسدة، وفي من يعين أهل البدع المنتسبين إلى العلم والدين على بدعهم، فمن هداه الله وأرشده امتنع عن فعل المُحرَّم، وصبر على أذاهم وعداوتهم، ثم تكون له العاقبة في الدنيا والآخرة، كما جرى للرسل وأتباعهم مع من آذاهم وعاداهم مثل المهاجرين في هذه الأمة، ومن ابتُلِي من علمائها وعُبَّادها وتُجّارها ووُلاتها»[٤].

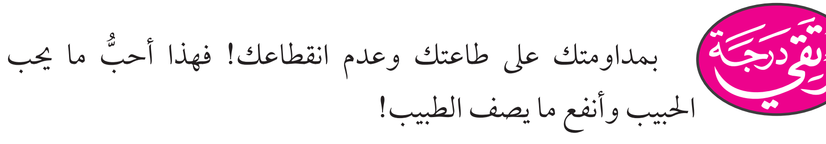
---

(١) قبسات من الرسول ص ١٢٢-١٢٤.
(٢) صحيح: رواه ابن حبان رقم: ٢٧٥ والسلسلة الصحيحة رقم: ١٦٨.
(٣) صحيح: رواه الترمذي وأبو نعيم عن عائشة كما في صحيح الجامع رقم: ٦٠١٠.
(٤) الفوائد ص ٢٠٩.





16 درجة
المداومة



ترتقي درجة بمداومتك على طاعتك وعدم انقطاعك! فهذا أحبُّ ما يحب الحبيب وأنفع ما يصف الطبيب!

في حديث **أم سلمة** رضي الله عنها قالت:

«كان أحبُّ العمل إلى رسول الله ﷺ الدائم وإن قلَّ»[(١)].

فالقليل الدائم أحب إلى الله من الكثير المنقطع لأنه أعظم أثرا في دواء القلب وشفائه، وكان هذا هو فعل النبي ﷺ حيث «**كان إذا عَمِل عملا أثبته**»[(٢)].

ويشرح **ابن حجر** رحمه الله هذا التوجيه النبوي قائلا:

«اشتَغِلوا من الأعمال بما تستطيعون المداومةَ عليه»[(٣)].

قال **أبو حامد الغزالي** رحمه الله ضاربا المثال مبيِّنا أثر الداوم على صحة الأحوال:

«ومثال القليل الدائم كقطرات ماء تتقاطر على الأرض على التوالي، فتُحدِث فيها حفيرة، ومثال الكثير المتفرِّق ماءٌ يُصَبُّ دُفعة أو دفعات متفرِّقة متباعدة الأوقات، فلا يبين لها أثر ظاهر»[(٤)].

وسبب الخوف من الانقطاع هو ملل العبد، ولذا نهى النبي ﷺ عن التشدُّد.

---

(١) الزهد لوكيع ٤٩٨ – ط مكتبة الدار، المدينة المنورة.
(٢) صحيح: رواه مسلم وأبو داود كما في صحيح الجامع رقم ٤٦٣٢.
(٣) فتح الباري ١/ ١٠٢.
(٤) إحياء علوم الدين ١/ ٣٣٣.



قال **ابن حجَر** رحمه الله:

«في الحكمة من نهي النبي ﷺ عن التشدُّد في العبادة إشارةٌ إلى كراهية ذلك، وخشية الفتور والملَل على فاعله؛ لئلاَّ ينقطِعَ عن عبادةٍ التزمَها؛ فتكون رجوعًا عمَّا بذل لربِّه من نفسه»[1].

وقال في موضع آخر عن الحكمة في فضل المداومة:

«والحكمة في ذلك: أن المديم للعمل يلازم الخدمة، فيُكثِر التردد إلى باب الطاعة كل وقت، ليُجازى بالبِرِّ لكثرة تردده، فليس هو كمن لازم الخدمة مثلًا ثم انقطع، وأيضا فالعامل إذا ترك العمل صار كالمُعرِض بعد الوصل، فيتعرَّض للذمِّ والجفاء، ومن ثم ورد الوعيد في حق من حفظ القرآن ثم نسيه، والمراد بالعمل هنا الصلاة والصيام وغيرهما من العبادات»[2].

ولعل من فضلها أنها جسرٌ يعبر المرء عليه إلى حسن الخاتمة، فإن العبد إذا داوم على العمل الصالح حَريٌّ أن يختم الله له بخير، فيوافيه أجله على حال حسنة، بخلاف من لا يداوم على الصالحات وينقطع عن الحسنات، فهذا قد يوافيه الأجل حالَ الترك والهجر.

تريد أن تتصدق؟

تصدَّق بجنيه واحد في الشهر؛ واثبت على ذلك.

تريد أن تكون محبوبًا من الله؟

صلِّ ركعتي قيام كل أسبوع وداوم، ولا تصلِّ عشر ركعات في ليلة أو عدة ليال ثم تنقطع، فليس هذا مما يحبه الله.

المحبوب لدى حبيبك أن تعمل ما يحب ولو كان قليلًا، لكن مع المداومة عليه (أحب العمل إلى الله أدومُه وإنْ قَل).

لكن هذا القليل يحتاج إلى عزائم الرجال وهمم الأبطال، ولا يقوى عليه إلا القلائل،

---

(١) فتح الباري ٣/ ٣٧.
(٢) فتح الباري ١/ ١٠٣.

فاشتروا بعملكم الدائم في الدنيا النعيم الدائم في الجنة، وإياكم والعمل المنقطع الذي يورث انقطاع النعيم، واذكروا أن المهلة يسيرة والعمر قصير، ومع هذا يُشترى به الخلود في الجنان، والنعيم الذي يبقى بقاء الرحمن.

هي كذلك قاعدة هامة لأهدافك الإيمانية والحياتية! ومنهج حياة من تربى عليه أدرك ما يريد:

إن الصخرة تتفتَّت مع الضربة المائة! ولو يئس الضارب قبل بلوغ المائة لانقطع عن العمل وما وصل! ولذا كانت المداومة بطولة والانقطاع عجزًا.

ترتقي درجة

إذا جمعتَ مع المداومة كثرة! فإذا كان أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قلَّ، فكيف لو زاد العمل وكثر؟! واسمع خبر الهمة العالية الرائعة من أبي حنيفة رضوان الله عليه.

قال مسعر بن كدام رحمه الله:

«كنتُ أنظر إلى أبي حنيفة رحمه الله يُصَلِّي الغداة، ثمَّ يجلس في مذاكرة العلم إلى العصر، ولا يحدث وضُوءًا ولا طعاما ولا شرابًا، ثمَّ يجلس بعد صلاة العصر إلى المغرب، ثمَّ يجلس في مذاكرة الْعلم إلى عشاء الْآخِرة، فقلت في نفسي:

متى يتفرغ هذا للعبادة؟! لأتعاهدنَّه باللَّيل.

قال:

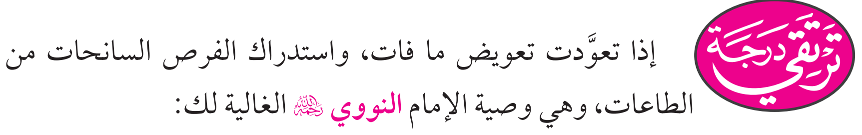
فتعاهدته فلما صلى العشاء الآخِرَة دخل منزله، فلمَّا هدأ النَّاس وأخذوا مضاجعهم خرج إلى المسجد، فانتصب فكان يُصَلِّي اللَّيل كله، فلمَّا كان في الوقت الَّذي يتحرَّك النَّاس فيه دخل منزله، وخرج في ذلك الوقت الَّذي خرج فيه، وقد تهَيَّأ وسرَّح لحيته، ثمَّ



صلى الفجر، ثمَّ قعد يذاكر العلم يومه أجمع.

قال:

فقلت لعلَّ هذا شيء جعله على نفسه أيامًا، فلَزِمته حتَّى مات، فما رأيته بالنَّهار مُفطرا، ولا باللَّيل نائما»[١].



إذا تعوَّدت تعويض ما فات، واستدراك الفرص السانحات من الطاعات، وهي وصية الإمام **النووي** رحمه الله الغالية لك:

«ينبغي لمن كان له وظيفةٌ من الذكر في وقت من ليل أو نهار، أو عقب صلاة أو حالة من الأحوال ففاتته أن يتداركها ويأتي بها إذا تمكن منها ولا يهملها، فإنه إذا اعتاد الملازمة عليها لم يعرِّضها للتفويت، وإذا تساهل في قضائها سَهُلَ عليه تضييعها في وقتها»[٢].

وخذ هذا المثال من أمثلة كثيرة:

من فاتته طاعةٌ بالليل فليعوِّض ما فاته بالنهار، واسمع يا من فاته قيام الليل.. كيف وجَّهَكَ النبي ﷺ لتستدرك، ولم يتركك فريسة لما فاتك:

«أربع ركعات قبل الظهر يعْدِلْنَ بِصلاة السحر»[٣].



قصة وعبرة!

وكي تعلم أهمية الاقتصاد في العبادة مع المداومة، وضرورة المحافظة على الطاعة ولو قلَّت، فاسمع قصة العابد المتبتِّل: **عبد الله بن عمرو بن العاص** رضي الله عنه.

كان **عبد الله بن عمرو بن العاص** رضي الله عنه من كبار عُبَّاد الصحابة، فقد روى عنه **ابن**

---

(١) أخبار أبي حنيفة وأصحابه ١/ ٥٣ – أبو عبد الله الصَّيْمَري الحنفي – ط عالم الكتب – بيروت.
(٢) الأذكار للنووي ١/ ١٣.
(٣) حسن: رواه ابن أبي شيبة في المصنف عن أبي صالح مرفوعا مرسلا كما في السلسلة الصحيحة رقم: ١٤٣١.



حبان في صحيحه:

«جمعتُ القرآن في زمان النبي ﷺ، فكنتُ أقوم به كل ليلة»[١].

أي كان كلَّ ليلة يقرأ القرآن كله، وبلغ من انصرافه للعبادة أن أباه **عمرو بن العاص** رضي الله عنه أجبره على الزواج رغمًا عنه!

روى **مجاهد** رحمه الله عن **عبد الله بن عمرو** رضي الله عنه قال:

زوَّجني أبي امرأة من قريش (لاحظ قوله: فهو لا يريدها، وما كان يريد الزواج أصلا، ولكنَّ أباه زوَّجه إياها)، فلما دخَلت عليَّ (دخلت عليه مع أن الأصل أن يدخل هو عليها وكأنهم أجبروه عليها!) جعلت لا أنحاش لها (ألتفِت إليها) مما بي من القوة على العبادة من الصوم والصلاة! فجاء **عمرو بن العاص** إلى كَنَّتِه[٢] حتى دخل عليها، فقال لها: كيف وجدت بعلك؟

قالت: خير الرجال أو كخير البعولة، مِنْ رَجُلٍ لم يفتِّش لنا كنفا، ولم يعرف (يقرب) لنا فراشًا.

فأقبل عليَّ، فعذمني (لامني)، وعضَّني بلسانه، فقال:

أنكحتك امرأة من قريش ذات حسب، فعضلتَها[٣]، وفعلت وفعلت!

ثم انطلق إلى النبي ﷺ فشكاني، فأرسل إليَّ النبي ﷺ فأتيته، فقال لي: أتصوم النهار؟!

قلت: نعم.

قال: وتقوم الليل؟!

قلت: نعم.

---

(١) صحيح: صحيح ابن حبان رقم: ٧٥٦.
(٢) كَنَّته: الكَنَّة: امرأة الابن أو الأخ.
(٣) فعضلتها: العضل: المنع، والمراد: أنك لم تعاملها معاملة الأزواج لنسائهم، ولا تركتها بنفسها لتتزوج، وتتصرف في نفسها كما تريد.



قال: لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأنام، وأمس النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني.

قال:

اقرأ القرآن في كل شهر.

قلت: إني أجدني أقوى من ذلك.

قال: فاقرأه في كل عشرة أيام.

قلت: إني أجدني أقوى من ذلك.

قال: فاقرأه في كل ثلاث.

ثم قال: صم في كل شهر ثلاثة أيام.

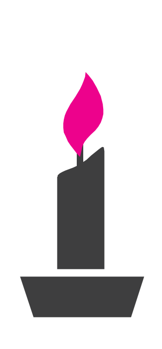
قلت: إني أقوى من ذلك!

قال: فلم يزل يرفعني حتى قال:

صم يوما وأفطر يوما، فإنه أفضل الصيام، وهو صيام أخي داود»[1].

ولاحظ قول **عبد الله بن عمرو** رضي الله عنه:

(فلم يزل يرفعني) مع أن النبي ﷺ يقلِّل عبادته!



لأن الله عز وجل لا يملُّ حتى يملَّ العبد، فإذا ختم العبد القرآن كل يوم أو صام كل يوم انقطع عزمه، فيكون فعليا قد نزل، وتتأثر عبادته لأنه يدركه الفتور والملل؛ لكنه إذا عَبَد الله عبادة مقتصِدة، فيُثْبِت عمله ويداوم عليه، فهذا هو عين الارتفاع، فالنبي ﷺ إنما نزل به ليرتفع!

(١) صحيح: رواه أحمد في مسنده حديث رقم: ٦٤٧٧.



ومع شرح العبارة الأخيرة (**إنما نزل به ليرتفِع**) بمثال واقعي:

لو خيَّروك بين أن تضع لنفسك عشرة أهداف فتحقق منها ثمانية، أو تضع لنفسك خمسة أهداف وتحققها جميعا.. فأيهما تختار؟!

لو نظرت إلى هذا السؤال عبر عدسة تكثير الثواب، فلاشك أن الأهداف الثمانية أعظم أجرًا..

أما إن نظرت إليه عبر عدسة سياسة النفس ومداواة القلب، فلا شك أن المحافظة على الأهداف الخمسة دون تذبذب، والحرص عليها دون تهاون هو الأنجح على المدى الأبعد، لأنه يغرس في النفس عزيمة الاستمرار، والاعتذار للأعذار، وهذا أثره أبقى وأدوم، ولذا فهو الأفضل.



تجربة حية معاصرة!

يقول الأستاذ **إبراهيم جابر**:

عندما ختمت القرآن عام ١٩٨١ كنت سعيدًا فرحًا، وكان عندي من الوقت والجهد ما أُسمِّع لنفسي كل يوم ٦ أجزاء حتى أختمه كل خمسة أيام، وكنت جالسًا مع المربي الفاضل الرائع الحاج **محمد العدوي** من الرعيل الأول للدعاة في المنصورة، فوجدتُه يقرأ جزأين فقط ولا يزيد، فقلت وكأنني تقاللت قراءته:

لم لا تزيد في التلاوة وعندك فسحة من الوقت؟!

قال: منذ أربعين سنة أو يزيد وأنا أتلو جزأين من القرآن في السفر أو الإقامة.. في السجن أو الحرية.. في الفراغ أو الشغل، ولا أزيد ولا أنقص.

تذكَّرت كلماته بعد ذلك عندما كان يمر بي اليوم أو اليومين ولا أنظر في المصحف!

وقلت: فعلًا وصدقًا، خير الأعمال أدومها وإن قلَّ.





حاسِب ☺	حاسِب ☹	الدرجة	درجة أدومه وإن قلَّ
		ادعُ	ادعُ غيرك — قال العلامة المحدِّث **أبو العباس ثعلب**:
		استدرك	تقضي النوافل — «ما فقـدت **إبراهيم الحربـي** من مجلس لغة خمسين سنة».
		أكثر	كثير تداوم عليه
		داوِم	عمل صالح قليل تداوم عليه

16 دركة الانقطاع

دركة تمهيد بتضييع ما كنت مواظبًا عليه من طاعة، ومع تمام قصة **عبد الله بن عمرو** رضي الله عنهما: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا **عبد الله بن عمرو!**

«إنك لتصوم الدهر وتقوم الليل، وإنك إذا فعلت ذلك هجمت عيناك ونفهت نفسك»[(١)].

(هجمت) أي: غارت أو ضعفت لكثرة السهر، و(نفهت) أي تعبت وكلَّت، وفي رواية أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **«ولعله أن يطول بك حياة»**.

وبالفعل طالت حياة **عبد الله بن عمرو** رضي الله عنه، وفترت همَّته عما كان عليه، وتمنى لو كان قَبِلَ وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم.

---

(١) صحيح: السلسلة الصحيحة رقم: ٢٨٥٥.

قال **ابن رجب** رحمه الله:

«يعني: أن من تكلف الاجتهاد في العبادة فقد تحمله قوة الشباب ما دامت باقية، فإذا ذهب الشباب وجاء المشيب والكبر عجز عن حمل ذلك، فإن صابَره وجاهد واستمر، فربما هلك بدنه، وإن قطع فقد فاته أحب الأعمال إلى الله تعالى، وهو المداومة على العمل»[1].

وقال **ابن بطال** رحمه الله:

«قال **المهلب**:

فيه أن من دخل فى طاعة الله وقطعها فإنه مذموم، وقد عاب الله قوما بذلك فقال: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾ [الحديد: ٢٧] فاستحقوا الذم حين لم يفوا بما تطوعوا به، ولا رعوه حق رعايته، فصار رجوعا منهم عنه، فلذلك لا ينبغى أن يدخل فى شيء من العبادة ويرجع عنها، بل ينبغى أن يرتقى المرء كل يوم فى درج الخير، ويرغب إلى الله أن يجعل خاتمة عمله خيرا من أوله، ولذلك كان ﷺ لا يحب من العمل إلا ما دام عليه صاحبه وإن قلَّ»[2].

دركة تهوي

إذا قادك الشيطان من درَكة الانقطاع عن العمل الصالح إلى هاوية الذنوب والعمل الطالح في ما يُسَمّى انتكاسًا! ولذا كان النبي ﷺ دائمًا ما يتعوَّذ بالله من تقلُّب القلب وتغيُّر الحال؛ خاصةً إذا مرَّ به تغيرٌ ماديٌّ عاديٌّ كالسفر ذكَّره بالتغير القلبي الأهم، فقد روى **ابن ماجة** في سننه عن **عبد الله سَرْجِس** رضي الله عنه:

«كان رسول الله ﷺ إذا سافر يتعوَّذ مِنْ وَعْثاء السَّفَر، وكآبة المُنقَلَب، والحَوْرِ بعد الكَوْر، ودعوة المظلوم، وسوء المنظر في الأهل والمال»[3].

(١) لطائف المعارف ١/ ١٢٦.
(٢) شرح صحيح البخارى لابن بطال ٣/ ١٤٦ - ابن بطال - مكتبة الرشد.
(٣) صحيح: صحيح مسلم رقم: ١٣٤٣.

وفي المعنى اللغوي لقوله «والحَوْرِ بعد الْكَوْر» قال صاحب لسان العرب:

«الحَوْرُ: الرُّجوع عن الشَّيء وإلى الشَّيء، حار إلى الشَّيء وعنه: رَجَع عنه وإليه»[1].

وفي معنى آخر يُزيد الأمر وضوحًا قال الإمام السندي رحمه الله:

«الكَوْر: لفُّ العِمامة، والحَوْر: نقضها، والمراد الاستعاذة من النُّقْصان بعد الزِّيَادة، أو من الشتات بعد الانتظام، أي من فَساد الأمور بعد صلاحها»[2].

وهي أقوالٌ تصب كلها في معنى واحد، وهو تبدل حال المؤمن من الحسن إلى القبيح، ومن الطاعة إلى المعصية مع استمراره في ذلك دون رجوع بتوبة أو ندمٍ وأوبة.

وانظر حولك:

كم منا من استقام وسار عمرًا طويلاً في درب الهداية ثم (انتكس)، ومنهم من كان خطيبًا تهتز المنابر تحت أقدامه، وتبكي العيون من مواعظه وكلماته، ومنهم من ربَّى أجيالًا على خدمة الحق ثم التحق آخر الأمر بمعسكر الباطل! فزلَّت قدمه، ونكص على عقبيه.

وقد أوضح أسباب الانتكاس في كلام جامع نافع ماتع الإمام عبد الحق الإشبيلي رحمه الله فقال:

«واعلم أنَّ سوء الخاتمة -أعاذنا الله مِنْهَا- لا يكون لمن استقام ظاهره وصَلُح باطِنه، وإِنَّما يكون ذلك لمن كان له فسادٌ في العقل، وإصرارٌ على الكبائر، وإقدامٌ على العظائم، فرُبَّما غلب ذلك عليه حتَّى ينزل به الموت قبل التوبة، ويثب عليه قبل الإِنابة، ويأخذه قبل إصلاح الطَّوِية، فيصطلمه الشَّيطان عند تلك الصدمة، ويختطفه عند تلك الدهشة، فيكون ذلك سببًا لسوء الخاتمة وشؤم العاقبة والعياذ بالله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾»[3].

---

(١) لسان العرب ٤/ ٢١٧ - ابن منظور - ط دار صادر.
(٢) حاشية السندي على سنن النسائي ٨/ ٢٧٣ - مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب.
(٣) العاقبة في ذكر الموت ١/ ١٨٠، ١٨١ بتصرف - ابن الخراط الأشبيلي- ط مكتبة دار الأقصى - الكويت.



17 درجة
العمل عند الخوف

من عَبَدَ الله وحافظ على طاعته رغم شدة خوفه على رزقه أو أجله، فقد عرَّض نفسه للخطر غير مبالٍ بما ينقص من دنياه في سبيل دينه، لذا فأجره عند الله أعظم ودرجته أعلى.

عقد **علي بن أبي طالب** رضي الله عنه المقارنة بين **أبي بكر الصديق** رضي الله عنه ومؤمن **آل فرعون**، ليعلِّم الناس أيهما أسبق، فسأل من حوله يومًا:

أنشُدُكم الله.. أمؤمن آل فرعون خير أم هو؟!

فسكت القوم، فقال **علي** رضي الله عنه:

«فوالله لساعة من **أبي بكر** خيرٌ من مِلء الأرض من مؤمن **آل فرعون**، ذاك رجلٌ يكتم إيمانه وهذا رجل أعلن إيمانه»(١).

هذا عن صحابي من خير القرون وهو جيل الصحابة، فما بال آخر القرون من أمثالنا؟!

هل يتركون حلبة المنافسة للسابقين أم ينافسون المقرَّبين وأصحاب اليمين؟!

يروي الأستاذ **أسعد طه** مشاهداته عبر رحلاته الكثيرة إلى ديار المسلمين المستضعفين مما يسيل مدامعك ويوقظ عزمك من روعة ما ترى من تمسُّكٍ بالدين وعزم الصامدين:

- «عرفت أن بعض العائلات الألبانية بدأت تختبر أسقف وأعمدة بيتها، بعد أن اكتشف بعضهم أن الأقدمين جمعوا المصاحف والكتب الدينية وغلَّفوها جيدا وربطوها إلى الجدران، ثم صبوا عليها الأسمنت، ليخفوها من عيون الشرطة،

---

(١) البداية والنهاية ٣/ ٣٣١، ٣٣٢ - ط دار ابن كثير.



وليجدها أبناؤهم وأحفادهم لاحقا، وهو ما يحدث الآن!

- قال لي أحدهم أن بعض هذه المحفوظات لم تكن سوى مجلات عربية، لكن الحرف العربي أوحى لهم بأنها مقدَّسة!
- العجوز التتارية في جنوب أوكرانيا كانت تحكي لي أنها سُلِبت كل شئ عندما هجَّرتها قوات ستالين من القرم بلدها إلى سيبريا: الأرض والبيت والمال وكل الممتلكات، لكنها سعيدة للغاية أنها احتفظت طوال تلك السنين بمصحفها، وإن فقدت كل شيء!
- في آسيا الوسطى.. قابلوني بواحد. قال لي: كنت طفلا عندما كان والداي يلزماني بتعلم القرآن، كان معلِّمنا يأتي مساء متأخرا متسحِّبا، ثم ننزل به إلى قبو تحت الأرض، نسميه نحن الحجرات، نشعل شمعة أو مصباحًا صغيرًا حتى لا يرى الجيران ضوءًا مساء فيسألون لماذا نحن مستيقظون، ونظل في هذه الأقبية ساعات لا نفعل سوى حفظ القرآن.

ربما الوالدان لا يعرفان من الدين إلا قليلًا، لكنهما مثل آخرين حسبوا الأمر ببساطة، إذا لم يكن بوسعنا هزيمة الشيوعية، فلننقل المسؤولية إلى أولادنا وأحفادنا، حددوا المهمة في توريث الأبناء القرآن.

- رجلٌ آخر في أوزبكستان حكى لي كيف أن المعلمين كانوا يعمدون إلى أن يعطوهم في نهار رمضان وهم صغار في المدارس بعض الأطعمة المجانية ليعلموا من يصوم منهم ومن لا يصوم، والعقوبة تقع على الطفل وعائلته، بل إنهم كانوا أحيانا يحاولون أن يستنطقوا الأطفال ليفشوا سرَّ عائلتهم إذا ما كانوا على صومهم!
- حكى لي كيف أن أمه كانت تدرِّبه كيف يصلي بحواجبه إذا ما حان وقت الصلاة وهو في المدرسة حتى لا يلحظ أحد ذلك، مخافة أن يتعرض هو وعائلته للعقاب

سنين طويلة وراء الشمس. يقول: «كنت أجلس وأنظر إلى السبورة ثم أرفع حاجباي وأقول في سري الله أكبر، ثم أنزلهما عند الركوع قليلا، ثم أرفعهما، ثم أنزلهما إلى أسفل كأني ساجد وأنا أتمتم بالصلوات في سري». لقد اجتهدت أمه في الأمر، وكلُّ همِّها أن تبقى الصلاة قائمة!

- تذكرت ذلك الرجل الذي كان يخرج بابنه في سراييفو يغامر وقت الحرب ورصاص القناصة حتى يوصله إلى إحدى الكتاتيب، ثم يجلس في حانة قريبة من المسجد يحتسي مشروبا كحوليا محليا إلى أن ينتهي ابنه من تعلم القرآن، كان يقول لا أمل فيَّ، لكن لا أريد لابني أن يكبر على شاكلتي.
- في يوم من أيام الحج صعدت أعلى الحرم، ألقيت نظرة على الحضور، وجدت عجوزين آسيويين هزيلي الجسد، اخترت الجلوس بجانبهما. صليت المغرب، ثم جلست لأقرأ القرآن، فوجئت بالذي بجانبي يستدير قليلا لأكون أنا قبلته، ارتبكت.. واصلت القراءة.. صلينا العشاء.. دعونا الله.. أمسكت بمصحفي وقمت، فإذا هو ينظر إلي وكأنه يريد أن يقول شيئا غير أن اللغة تخذله، مددت يدي إليه مصافحا، انحنى سريعا ليقبِّلها، فزعت وسحبت يدي.. الرجل عاجز عن أن يقرأ القرآن، ويعتقد أن الله إنما يصطفي الناس فيمنح بعضهم القدرة على قراءة كتابه، وكأنه يعتقد أنني من المصطفين، ولو علم حالي لرماني بحذائه!
- عندما عادت بي الذاكرة إلى يوم سافرت فيه إلى أقصى جنوب الفلبين حيث المسلمون يناضلون للحصول على حقهم في حكم أنفسهم بأنفسهم.. في هذه المناطق المعزولة عن العالم يعيش الناس حياة بسيطة جدا، ويفرحون جدا بوصول أي عربي إليهم، وما إن توقفت سيارتي أمام إحدى المجموعات المقاتلة حتى وجدتهم يستقبلونني استقبال الأبطال! وكأنني قائدهم الأعلى وليس صحفيا أو مراسلا جاء يمارس مهمته..هناك في هذه المناطق التي تعيش الناس فيها على فطرتها، يودعك الرجل بأن يحتضنك ثم يقبل كتفك، ثم يشم رائحتك،

فإذا ما سألته أجاب: أنت أيها العربي أتيت من عند بلاد النبي، وأنا أحب أن أشم رائحة النبي!»[1].

ترى كم ادَّخَر الله لهؤلاء الأبطال من الثواب؟! وهو سبحانه الشكور الذي يضاعف الحسنات، ويقبل مثاقيل الذر من القُرُبات، فكيف بما عظم وغلا من أعمال العباد؟! فلله درُّ هؤلاء الرجال.. صدق فيهم قول **أبي عمرو بن بُجَيْد** رحمه الله:

«من كَرُم عليه دينه هانت عليه نفسه»[2].

17 دركة ترك العمل عند الخوف

هناك من يعمل العمل الصالح ما دام الظل ظليلًا والنسيم عليلًا..

حتى إذا عرضت له عقبة أو اشتدت عليه الريح مال معها حيث تميل، وركن إلى الظلمة، وسكت عن بيان الحق، بل لعله زيَّن للظالمين ظلمهم بفتاوى الشيطان، فانضم إلى حزب علماء السوء تحت وقع الخوف من غير الله مما يؤدي لضياع دينه كما قال **كعب**:

«من تضَعضَع لصاحب الدنيا والمال تضعضع دينه!»[3].

دركة تهوي

إذا كنتَ عالما ينتظر الناس كلمتك الحاسمة عند اختلاط الحق بالباطل، فدفعك خوفك من النطق بكلمة الحق إلى الصمت المطبق! وعندها يستوي صمتك بنطقك بالباطل كما قال الإمام **القِرافي** رحمه الله:

«وكفُّ المفتي عن الإنكار إذا رأى فعلًا من الأفعال كتصريحه بجوازه!

(١) أسعد طه على صفحته الشخصية بتاريخ ٩ يناير ٢٠١٥.
(٢) فتح الباري ١١/ ٣٣٨.
(٣) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ٥/ ٣٦٤ - دار الكتاب العربي - بيروت.

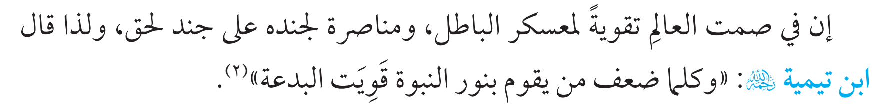
وقد أثبت الأصوليون ذلك دليلًا شرعيًا بالنسبة إلى النبي ﷺ (إشارة إلى أن صمت النبي ﷺ عن الشيء يعني إقراره له وهي السُّنة التقريرية)، فكذلك يكون بالنسبة إلى المنتصب للفتوى، ومن هنا ثابر السلف على القيام بوظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولم يُبالوا في ذلك بما ينشأ عنه من عوْد المضرات عليهم بالقتل فما دونه، ومن أخذ بالرخصة في ترك الإنكار فرَّ بدينه واستخفى بنفسه، ما لم يكن ذلك سببا للإخلال بما هو أعظم من ترك الإنكار، فإن ارتكاب خير الشرَّيْن أولى من ارتكاب شرِّهما»[1].

وبالله!

ما قيمة علم العالم إذا لم ينشره بين الناس؟!

ما مهمته إذا لم يرشد العامة لما يفعلون في النوازل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية؟!

ألا يجدر بالعالِم أن يقابل التشريف الذي اختصَّه الله به بالقيام بتبعات التكليف، فينشر علمه بين الناس، وينطق بكلمة الحق مهما كلَّفته؟!



إن في صمت العالِم تقويةً لمعسكر الباطل، ومناصرة لجنده على جند لحق، ولذا قال **ابن تيمية** رحمه الله: «وكلما ضعف من يقوم بنور النبوة قَوِيَت البدعة»[2].

وأي شيء نغرسه اليوم في قلب الناشئة إذا أصبحوا وأمسوا على علو صوت المبطلين وسكوت أهل الحق الخائفين المتخاذلين؟! ولله دَرُّ **ابن عقيل** رحمه الله حين قال محذِّرا:

«لو سكَت المُحِقُّون ونطق المبطِلون لَتعَوَّد النَّشْء ما شاهدوا، وأنكروا ما لم يشاهِدوا، فمتى رام المُتدَيِّن إحياء سُنَّة أنكرها النَّاس فظنُّوها بِدْعة»[3].

---

(١) أنوار البروق في أنواء الفروق ٢/ ١٣٤، ١٣٥ بتصرف يسير- أبو العباس شهاب الدين القرافي - ط عالم الكتب.

(٢) شرح الرسالة التدمرية ١/ ٣٨٨ - محمد بن عبد الرحمن الخميس - دار أطلس الخضراء.

(٣) غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب ١/ ٢١٣ - محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي - مؤسسة قرطبة.



18 درجة

الأصعب من العمل

ترتقي درجة

إذا بذلت جهدا أكبر في طاعتك، ولم تمنعك مشقة العمل من مواصلته، فيكافئك الله على عزمك وصدقك بمزيد الأجر ورفع الذكر.

قال **إبراهيم بن أدهم** رحمه الله: «أثقل الأعمال في الميزان أثقلها على الأبدان»[١].

ومن قبله قالها الراشد الخامس **عمر بن عبد العزيز** رضي الله عنه:

«أفضل الأعمال ما أُكرِهَتْ عليه النفوس»[٢].

إن الاستمرار في العمل مع مشقته، ومكابدته مع صعوبته علامة أصيلة من علامات الصدق، وأمارة من أمارات المجاهدة، والمجاهدة -رغم مشقتها- إلا أنها منجم ثواب وفرص ارتقاء.. **ومن أمثلة الأعمال الشاقة على الأبدان:**

◎ **صلِّ في المسجد البعيد تنل من الأجر المزيد!**

قال رسول الله ﷺ معلنا عن الأعلى أجرًا والأشرف قدرًا:

«الأبعد فالأبعد من المسجد أعظم أجرا»[٣].

روى **أُبَيُّ بن كعب** رضي الله عنه قصة صحابي عمل بهذا الحديث وسار عليه، فقال:

كان رجلٌ لا أعلم رجلًا أبعَدَ من المسجد منه، وكان لا تُخطِئه صلاة، فقيل له أو قلت له: لو اشتريتَ حمارًا تركبه في الظَّلماء وفي الرَّمضاء. قال: ما يسُرُّني أن منزلي إلى جنب المسجد.. إني أريد أن يُكتَبَ لي ممشاي إلى المسجد، ورجوعي إذا

---

(١) الزهد الكبير ١/ ٢٨٢.

(٢) ذم الهوى ١/ ٤٨.

(٣) صحيح: رواه أحمد وأبو داود والحاكم عن أبي هريرة كما في صحيح الجامع رقم: ٢٧٥٩.



رجعت إلى أهلي، فقال رسول الله ﷺ: «قد جمع الله لك ذلك كُلَّه»[1].

◎ أسبغ الوضوء على الكريهات يكفِّرْ عنك السيئات!

وإسباغ الوضوء هو إتمامه وإبلاغه مواضعه الشرعية كالثوب السابغ الذي يغطّي البدن كله، وأما الكريهات، فهي الحال التي تكره النفس فيها الوضوء، وقد فُسِّرَت بأحد وجهين:

- حال **نزول المصائب** التي تُذهِب العقل، فتكون الاستعانة بالصبر والوضوء والصلاة من علامات قوة الإيمان، ولمشقة هذا الأمر وصعوبته تزداد قيمة المكافأة الربانية عليه.
- حال **البرد الشديد**، ويشهد له أن في بعض روايات الحديث جاء فيها: «**إسباغ الوضوء في السَّبَرات**»، والسَّبْرة هي شدة البرد، ولاشك أن هذا الأمر يحتاج لمجاهدة عظيمة لتنزع نفسك من الفراش الدافئ إلى الماء البارد.

و«**إسباغ الوضوء على الكريهات**» من علامات اليقين، وذكر **ابن رجب** رحمه الله ما يعين على بلوغ هذه الدرجة، وأوجزها في خمسة أسباب[2].

---

(١) صحيح: رواه مسلم عن أبي بن كعب حديث رقم: ٢٧٨.

(٢) هي كما أوردها **ابن رجب**:

أحدها: تذكر فضل الوضوء من حطّه الخطايا، ورفعه للدرجات وحصول الغرّة والتحجيل به، وبلوغ الحلية في الجنة إلى حيث يبلغ.

الثاني: تذكر ما أعده الله لمن عصاه بالبرد والزمهرير، فإن شدة برد الدنيا يذكر بزمهرير جهنم، وفي الحديث الصحيح: «**إن أشد ما تجدون من البرد من زمهرير جهنم**».

الثالث: ملاحظة جلال من أمر بالوضوء، ومطالعة عظمته وكبريائه، وتذكر التهيؤ للقيام بين يديه ومناجاته في الصلاة فذلك يهون كل ألم ينال العبد في طلب مرضاته من برد الماء وغيره، وربما لم يشعر بالماء بالكلية كما قال بعض العارفين: بالمعرفة هانت على العاملين العبادة.

الرابع: استحضار اطلاع الله عز وجل على عبده في حال العمل له، وتحمل المشاق لأجله، فمن تيقنّ أن البلاء بعين من يحبه هان عليه الألم كما أشار تعالى إلى ذلك بقوله ﷻ لنبيه ﷺ: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾.

الخامس: الاستغراق من أَمَر بمحبة هذه الطاعة، وأنه يرضى بها ويحبها كما قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾. اختصام الملأ الأعلى ١/ ٥١، ٥٤ بتصرف.



◎ **ابذل أقصى جهدك ومالك في الحج والعمرة تزدد أجرا وتشرُف قدرا!**

فقد قال النبي ﷺ **لعائشة** رضي الله عنها:

«إن لك من الأجر على قدْرِ نصبك ونفقتك»[1].

قال **النووي** رحمه الله:

«هذا ظاهر في أن الثواب والفضل في العبادة يكثر بكثرة النصب والنفقة، والمراد النصب الذي لا يذُمُّه الشرع وكذا النفقة»[2].

ويرتبط أمر المشقة ارتباطًا وثيقًا بالنية وعمل القلب، وهو أساس من أسس تفاضل الأعمال.

قال **ابن تيمية** رحمه الله:

«والفعل الواحد في الظاهر يُثاب الإنسان على فعله مع النية الصالحة، ويعاقب على فعله مع النية الفاسدة.

فمن حجَّ ماشيا لقوته على المشي وآثر بالنفقة كان مأجورا أجرين: أجر المشي وأجر الإيثار.

ومن حجَّ ماشيًا بخلًا بالمال إضرارًا بنفسه كان آثمـًا إثمين: إثم البخل وإثم الإضرار.

---

(١) صحيح: رواه الحاكم عن عائشة كما في صحيح الجامع رقم: ٢١٦٠. إذا قصد العبد المشقة ليؤجر، فهذا ضيق عقل وقلة فهم، فقوله ﷺ: «**أجرك على قدر نصبك**» معناه: أن المشقة إذا كانت ملازمة للعمل لا تنفك عنه ولا حيلة لك فيها، فهي مشقة تؤجر عليها، فإذا لم تكن لديك مثلا القدرة المالية على السفر للحج بالطائرة، وإنما قدرتك أن تسافر برا، فهذا تعبٌ داخل في قوله ﷺ: «**أجرك على قدر نصبك**» لأن المشقة لا تنفك عن العمل، ولا حيلة لك في دفعها. أما أن يقصد شخص المشقة قصدا، فهذا ليس من دين الله في شيء: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة:١٨٥].

ولهذا لما نذرت أخت **عقبة بن عامر** أن تحج ماشية حافية منعها النبي ﷺ وقال لأخيها: «**مُرْهَا فلْتَرْكَبْ، فإنَّ الله عزَّ وجلَّ عن تعذيب أُختك نفسَها لغنِيٌّ**»، ولما نذر **أبو إسرائيل** أن يقوم ولا يقعد، ولا يستظل، ولا يتكلم، ويصوم. قال النبي ﷺ: «**مُرْهُ فليتكلم وليستظل وليقعد، وليُتِمَّ صومه**».

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ٨/ ١٥٢، ١٥٣ –يحيى بن شرف الدين النووي – دار إحياء التراث العربي– بيروت.

ومن حجَّ راكبا، لضعفه عن المشي، وللاستعانة بذلك على راحته ليتقوى بذلك على العبادة كان مأجورا أجرين.

ومن حجَّ راكبا يظلم الجمّال والحمّال كان آثما إثمين»[1].

◎ **ابذل نفسك ومالك في جهادٍ في سبيل الله يعطِك الله فوق ما تتمنّاه!**

فكلما عظمت تضحياتك زاد العِوَض الإلهي والكرم الرباني.

عن **جابر** رضي الله عنه قال:

قال رجل: يا رسول الله! أي الجهاد أفضل؟!

قال:

«**أن يُعقَر جوادك ويهراق دمك**»[2].

◎ **صُمْ يومًا شديد الحر يلحقك أعظم الأجر!**

وكثيرا ما فعله رسول الله ﷺ كما قال **أبو الدرداء** رضي الله عنه:

«خَرَجْنا مع النبي ﷺ في بعض أسفاره في يوم حار، حتى يضع الرجل يده على رأسه من شدة الحر، وما فينا صائم إلا ما كان من النبي ﷺ **وابن رواحة**».

ولذا قال **ابن رجب** رحمه الله في كتابه لطائف المعارف:

«ومما يضاعف ثوابه في شدة الحر من الطاعات الصيام، لما فيه من ظمأ الهواجر!»[3].

ومن هنا (كانت بعض الصالحات تتوخى أشد الأيام حرًا فتصومه، فيُقال لها في ذلك، فتقول: إن السعر إذا رخص اشتراه كل أحد! تشير إلى أنها لا تؤثر إلا

(١) مجموع الفتاوى ٢٢/١٣٨.
(٢) صحيح: رواه ابن حبان في صحيحه كما في صحيح الترغيب والترهيب رقم: ١٣٦٥.
(٣) لطائف المعارف ص ٥٥١.

العمل الذي لا يقدر عليه إلا قليل من الناس، لشِدَّتِه عليهم)[1].

وهذا رغب الصالحون في دفع الأجر الأعظم لنيل المنزلة الأعظم، وتقديم الأغلى للفوز بالأغلى! فهذا **عامر بن عبد قيس** (كان يكون في السواحل وكان يلقى **معاوية**، فيكثر ويكثر **معاوية** أن يقول: حاجتك؟ فيقول لا حاجة لي، فلما أكثر عليه قال له: ترُدُّ عليَّ من حَرِّ البصرة، لعلَّ الصوم أن يشتد عليَّ شيئا، فإنه يخِفُّ علي في بلادكم!)[2].

◎ عِظَم الجزاء من عظم البلاء!

ففي الحديث عن النبي ﷺ:

«إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله تعالى إذا أحب قوما ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخِط فله السُّخط»[3].

فكلما عظم البلاء وصاحَبَــه الصبر ارتفع بذلك القدر، ولهذا كان الأنبياء أرفع الناس قدرا لأنهم أشد الناس بلاء، وغرة أولي العزم من الرسل هو رسول الله ﷺ، فقد ذاق كل ألوان الشدائد، وصبر عليها كلها، فقد صبر على الفقر والجوع حتى ربط على بطنه الحجر والحجرين، وصبَر على موت الزوج والولد، وصبر على إيذاء قومه له سبًّا وضربًا، وصبر على إخراجه من بلده، وصبَر على فقد أصحابه أمام عينيه والتمثيل بجثامينهم، وصبر على قذفه في عرضه، واتهامه في أحب الخلق إليه **عائشة** رضي الله عنها، فهل مرَّ أحد بمثل ما مرَّ به نبينا؟

وترك لنا رسول الله ﷺ ميراث الصبر الثمين، ولكل من ورثته فيه نصيب بحسب قُربه منه، فعلى قدر صبرك تتحدَّد درجة قرابتك.

---

(١) لطائف المعارف ص ٥٥١.
(٢) الطبري في التاريخ ٢/ ٦٤٠ وابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٦/ ٩.
(٣) حسن: رواه الترمذي وابن ماجة عن أنس كما في صحيح الجامع رقم: ٢١١٠.

ترتقي درجة

إذا عبرتَ جسر الصبر إلى واحة الرضا، فإن أردت أن تعرف رضا الله عنك فانظر: رضاك عنه في البلايا، ويقينك بحكمته وثوابه عند الرزايا، فإن رضيت وأيقنت فاعلم أنه عنك راضٍ، والدليل:

«فمن رضي فله الرضا».

18 دركة الأصعب من العمل

دركة تهوي

إذا كانت صعوبة الطاعة مقدِّمة التقصير فيها أو تركها، وإن المداومة على المعصية لفترات طويلة سببٌ من أسباب صعوبة الإقلاع عنها وفراقها.

- يحتاج آكل الحرام لعزيمة قوية ليتخلَّص مما نبت عليه لحمه من سحتٍ عبر سنين طوال.
- يحتاج العاشق إلى طاقة هائلة ليتخلص من عشقه ويزهد في من عشق.
- يحتاج الظالم لصدقٍ عظيم في توبته ليتحلَّل ممن ظلمهم.
- يحتاج مدمن الخمر إلى صدق إرادة وقوة عزيمة ليقلع عن إدمانه، وينجو من وعيد نبيه ﷺ:

«لا يدخل الجنة مدمن خمر»[١].

---

(١) صحيح: رواه ابن ماجة عن أبي الدرداء كما في صحيح الجامع رقم: ٧٦٧٣.

هذه كلها أعمالٌ يتهدَّد أصحابها سوء الخاتمة لأن إقامتهم عليها واستمرارهم فيها من علامات الإصرار، **والخواتيم ميراث السوابق**، فمن كانت سابقته سوءا لم ينل إلا السوء، ويزيد فداحة المصاب إن كانت ذنوب خلوات لم يطلع عليها أحد، فيفتضح صاحبها عند الموت.

قال **عبد العزيز بن أبي رواد** رحمه الله:

حضرتُ رجلا عند الموت يُلقَّن لا إله إلا الله، فقال في آخر ما قال: هو كافر بما تقول، ومات على ذلك، فسألتُ عنه، فإذا هو مدمن خمر، فكان **عبد العزيز** رحمه الله يقول:

«اتقوا الذنوب، فإنها هي التي أوقعته»[١].

ومثله **إبراهيم بن علي بن سلمة** المعروف **بابن هرمة**، وهو من شعراء الدولتين (الأموية والعباسية)؛ وكان شيخ الشعراء في زمانه، وكان منهومًا في الشراب لا يكاد يصبر عنه، ومرَّ يومًا على جيرانه وهو ميت سُكْرًا حتى دخل منزله، فلما كان من الغد عاتبوه في الحالة التي رأوه فيها:

أنا في طلب مثلها منذ دهر! أما سمعتم قولي:

أسأل الله سكْرةً قبل موتي ... وصياح الصبيان: يا سَكرانُ

فنهضوا من عنده، ونفضوا ثيابهم وقالوا: ما يفلح هذا أبدًا!

وهو القائل:

ما أظنّ الزمان يا أمَّ عمـروٍ ... تاركًا إن هلكتُ من يبكيني

وكان كذلك!

لقد مات وما يحمل جنازته إلا أربعة نفر لا يتبعهم أحد![٢].

(١) جامع العلوم والحكم ١/ ١٨٠ – ابن رجب الحنبلي– ط دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع.
(٢) فوات الوفيات ١/ ٣٤، ٣٥ – محمد بن شاكر الملقب بصلاح الدين – ط دار صادر – بيروت.



خواتيم أصحاب الكبائر!

حدَّثني أحد أساتذتي عن خاتمة عجيبة شهدها بنفسه أثناء خدمته الإجبارية على جبهة من جبهات القتال في الستينيات من القرن الماضي، وحدثت لاثنين من العساكر كان يفخران بشرب الخمر وارتكاب الفاحشة دون خجل أو مداراة، وكان أستاذي لايزال طالبًا جامعيًا، و كثيرًا ما نصحهما بأنهم في جبهة قتال، ولعل أحدهما يلقى الله في مواجهة وشيكة مع العدو، فكيف يلقاه مدنَّسًا بهذه الكبائر؟! فكان لا يلقى منهما إلا الاستهزاء والسخرية.

ووقعت الكارثة، فكانت غارةً شرسة ذهب ضحيتها عشرات الجنود، فكانا الرجلان في من قضوا، ونجا أستاذي بأعجوبة، وباشر مع البقية دفن من لقي حتفه، ومنهم هذان المسرفان على نفسيهما.

وحدث أمر عجيب!

فوجئ الجنود بعد الدفن أن فوجًا من الكلاب هاجم قبري هذين الجنديين دون باقي من دُفِن، وكانوا قرابة الثلاثين ممن قضى في هذه الغارة، لتحفر الكلاب الأرض حتى وصلت إلى الجثمانين، فزجر باقي الجنود الكلاب وطردوها، وأعادوا دفن الجثمانين، لتكرِّر الكلاب المحاولة، ويرجع الجنود إلى طرد الكلاب وإعادة الدفن.. إلى أن تكرَّر الأمر خمس مرات!

ولم يجدوا في النهاية مفرًّا من أن يدعوا الجثمانين للكلاب، وكان موقفًا فارقًا أبلغ من ألف خطبة، وأنفع من ألف كتاب.. **نسأل الله حسن الخاتمة.**





19 درجة
الزهد النـــــادر

ترتقي درجة

إذا زهدت في دنياك، وأخرجتَ حبها من قلبك، فلم تهزمك لقمةٌ محرَّمة، ولم يصرعك سعيٌ وراء صفقة ربوية أو تجارة خبيثة مغرية، لكن ما مفهوم الزهد؟!

وما أفضل ما قيل فيه؟

وما الفارق بينه وبين الورع؟!

قال ابن تيمية رحمه الله:

«**الزهد** هو ترك ما لا ينفع في الآخرة، **والورع**: ترك ما تخاف ضرره في الآخرة.

وهذه العبارة من أحسن ما قيل في الزهد والورع وأجمعها»(١).

ولذا فالزهد أعلى درجةً من الورع، لأن الزاهد لا يضيع وقته في ما لا يرفع درجته في الآخرة؛ حتى لو لم يكن عليه منه أي ضرر، وذلك لا يمنعه من التمتع بالمباحات، بل يستمتع بها من غير سَرف، لكن الفارق هنا أنه ينوي بها التقوِّي على طاعة الله، وبذا تتحول عاداته إلى عبادات تنفعه في آخرته.

أما الوَرَع فهو أقل رتبة من الزهد ويأتي قبله، والورِع إذا خلا العمل من الضرر أخذ به ولو لم ينفعه في آخرته، فيجتنب المحارم ويواظب على الفرائض، وما سوى ذلك فلا بأس به لديه، لذا نستطيع أن نقول أن كل زاهد فهو وَرِع، وليس كل ورِع بزاهد.

---

(١) مدارج السالكين ٢/ ١٢.



ولذا قال يحيى بن معاذ رحمه الله وهو يقدِّم الورع ليكون أساسًا يُبنى عليه الزهد:

«كيف يكون زاهدا من لا ورع له؟! تورَّع عما ليس لك، ثم ازهد فيما لك»[1].

لكن

هل الزهد باطنٌ أم ظاهر؟!

جوهر أم مظهر؟!

قال ابن القيم رحمه الله:

«الأصل هو قطع علائق الباطن، فمتى قطَعَها لم تضره علائق الظاهر، فمتى كان المال في يدك وليس في قلبك: لم يضرُّك ولو كثر!

ومتى كان في قلبك: ضرَّك ولو لم يكن في يدك منه شيء.

وإنما يُحمد قطع العلائق الظاهرة في موضعين:

حيث يخاف منها ضررًا في دينه..

أو حيث لا يكون فيها مصلحة راجحة»[2].



بإخلاصك وإخفاء زهدك!

قال عبد الله بن المبارك رحمه الله:

«أفضل الزهد إخفاء الزهد»[3].



بالزهد في الزهد!

ويتحقق هذا للزاهد بثلاثة شروط شرحها ابن القيِّم رحمه الله عن شيخ

---

(١) الزهد الكبير ١/ ٨٣.
(٢) مدارج السالكين ٢/ ٥٨ بتصرف.
(٣) أدب الدنيا والدين ١/ ١٠٦ - الماوردي - دار مكتبة الحياة.





الإسلام **الهروي** رحمه الله:

الأول: **احتقار ما زهد فيه**، فلا يرى الزاهد زهده يستحق أن يكون قربانًا للنجاة فضلا عن أن يكون ثمنًا للجنة، فلا يبصره بقلبه، ولا يذكره بلسانه، فضلًا عن أن يمُنَّ به على أحد.

الثاني: **استواء الأحوال لديه**، فيرى ترك ما زهَدَ فيه وأخذه متساويين عنده؛ لأنه أبصر بقلبه صنع الله وحكمته في حالتي الأخذ والترك، فيتعرَّف ببصيرة قلبه على الله من أفعاله، ومن هنا عرَّف **الشِّبلي** رحمه الله الزهد بقوله:

«تحويل القلب من الأشياء إلى ربِّ الأشياء»[1].

الثالث: **الغياب عن شهود الاكتساب**، بمعنى أن من استصغر الدنيا بقلبه حتى استوت حالاتها لديه؛ لم ير أنه اكتسب بتركها عند الله درجة البته؛ لأنها أحقر في عينيه من أن يكتسب بتركها عند الله الدرجات.

ترتقي درجة

إذا جمعت مع الزهد غنى!

وزُهْد الغَنِيِّ أثقل في الميزان، لأن المال غالبا ما يميل بصاحبه عن الحق، ويجرفه نحو الدعة والغفلة، ومنها إلى مستنقع الهوى والشهوة.

إن الغنيَّ الزاهد مجاهدٌ عظيم انتصر في معركة المال، وقد سبق الفقير الذي لم يخض غمار هذا الامتحان.

ولذا تناظر **أبو سليمان الداراني** و**أبو صفوان** في أيهما أفضل: **عمر بن عبد العزيز** و**أويس القرني**، فقال **أبو سليمان** **لأبي صفوان**:

كان **عمر بن عبد العزيز** أزهد من **أويس**.

(١) الزهد الكبير للبيهقي ١/ ٧٤.

قال له: ولم؟

قال: لأن **عمر** مَلَك الدنيا فزَهَد فيها.

فقال له **أبو صفوان**: **وأويس** لو ملكها لزهد فيها مثل ما فعل **عمر**.

قال **أبو سليمان** رحمه الله:

«لا تجعل من جرَّب كمن لم يجرِّب، إن من جرَّب الدنيا على يديه ليس لها في قلبه موقع، أفضل ممن لم تجْرِ على يديه وإن لم يكن لها في قلبه موقع»(١).

ولذا قال **مالك بن دينار** رحمه الله:

«يقولون **مالكٌ** زاهد، أيُّ زهدٍ عند مالك وله جُبَّة وكساء، إنما الزاهد **عمر بن عبد العزيز**، أتته الدنيا فاغرةً فاها فتركها»(٢).



وإليك الاختلاف المشهور الذي شغل السابقين واستغرق عشاقَ التميز الإيماني والسبق الأخروي:

أيهما أفضل: الزهد في ما أباحه الله من هذه النعم أم التزود منها واستعمالها في طاعته؟!

قال **ابن القيِّم** رحمه الله في إجابة حاسمة فاصلة:

«التحقيق أنه إن شغلته هذه النعم عن الله فالزهد فيها أفضل.

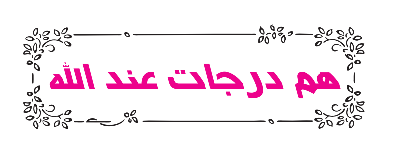
وإن لم تشغله عن الله وكان شاكرا لله فيها: فحاله أفضل.

والزهد فيها: تجريد القلب عن التعلق بها والطمأنينة إليها»(٣).

---

(١) سيرة عمر لابن الجوزي ٩٨.
(٢) الزهد الكبير للبيهقي ١/ ٧٤.
(٣) مدارج السالكين ٢/ ١٨٤، والذي يحقِّق هذا الزُّهد ثلاثة أشياء:
- علمك أن الدُّنيا ظل زائل ومتاعٌ فانٍ.
- وأنَّ وراءك دارا أعظم من الدنيا، فزهدك فيها لكمال رغبتك في ما هو أعظم منها.
- ومعرفتك بأنَّ زهدك في دنياك لا يمنعك شيئا كُتِب لك منها، وأنَّ حرصك لا يجلب لك ما لم يُقضَ لك.



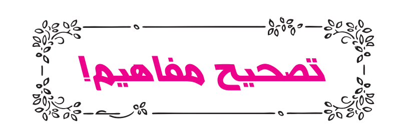


هم درجات عند الله

حاسب		الدرجة	درجة الزهد النادر
☺	☹		
		زهد الغني	زهد الغني
		ازهد في الزهد	الزهد في الزهد
		اخفِ زهدك	الزهد الخفي
		ازهد في المباحات	الزهد في المباحات
		ازهد في الشبهات	الزهد في الشبهات
		ازهد في المحرَّمات	الزهد في المحرَّمات

قال الفضيل بن عياض:

«رهبة العبد من الله على قدر علمه بالله، وزهده في الدنيا على قدر رغبته في الآخرة».



تصحيح مفاهيم!

وهنا وقفة!

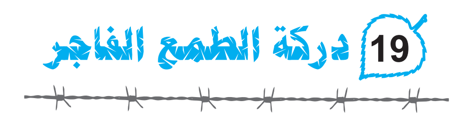
بعض الناس يظن أن الزهد يختص بالترك فحسب، فلا يرون الزهد إلا في ترك المحرمات، فيُسقِطون أداء الواجبات! وهذا خطأ شائع، فالزهد يشمل صلة رحم، وحق الجار، وإطعام المسكين واليتيم وابن السبيل، والقيام بحق المسلم، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وقد فهم **محمد بن الحسن** رحمه الله هذا فلما سأله رجل: ألا تصنف كتابًا في



الزهد؟ ردَّعليه بإجابة عجيبة:

«قد صنَّفتُ كتابا في البيوع»[١].

فمن راعى حدود الله في الواجبات ومنها البيوع والمعاملات، فهو من سادة الزاهدين.



دركة تهوي بسقوطك في بئـر الطمع، فعن **عياض بن حمار المجاشعي** رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم في خطبته:

«قال: وأهـل النار خمسة:.....، والخائن الذي لا يخفى له طمع وإن خانه».

والحديث يصف الإغراق في الطمع المؤدّي إلى الخيانة، والمعنى أن الطمع قد استولى على قلب صاحبنا حتى لو احتاج إلى الخيانة لبادر إليها، بل يخون في أهون الأمور وأحقر المتاع، والحق أن الطمع أقصر جسرٍ إلى خيانة الأمانة وظلم الناس، فيخون العالم علمه الشرعي بالفتوى الفاسدة، ويخون الطبيب طبَّه بالإهمال القاتل، ويخون المهندس أصول مهنته بالغش في مشاريعه، ويخون الموظف وظيفته بالرشوة والإهمال، وإذا خان المرء كانت النار مثوى له كما أخبر الحديث.

يقول شيخ الإسلام **ابن تيمية** رحمه الله في كتاب العبودية:

«والعبودية فِي الحقيقة هي رِقُّ الْقلب وعبوديته، فما استَرَقَّ القلبَ واستعبده فهو عَبده»[٢].

من استرَقَّ المال قلبه فهو عبد المال، ومن استرقَّت الشهوة قلبه فهو عبد الشهوة،

---

(١) حلية طالب العلم ص ١٤٧ – بكر بن عبد الله أبو زيد– دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض.
(٢) العبودية ص ٨١ – ابن تيمية– ط المكتب الإسلامي.



ومن استَرَقَّ المنصب والمنزلة قلبه فهو عبدٌ لهما، ومن استرقَّ الله قلبه فهو وحده عبد الله، ولذا أنشد طامعٌ متحسِّرا على سوء حاله ودنو دركاته:

أَطَعْتُ مطامعي فاستعبدَتْني ... ولو أني قنعتُ لكنتُ حُــــرًّا

والطمع دليل سوء الظن بالله وضعف الثقة به، ولذا رأى **الحسن البصري** رحمه الله فساد الدين كله في الطمع، فقال رحمه الله:

«صلاح الدين الوَرَع، وفساده الطَّمع»[1].

دركة تهوي

إذا هوى بك طمعك إلى الدرك الأسفل من الأنانية، فحرَّك حقد الناس عليك، وأفقدك قيمتك عندهم قبل أن تكون فقدتها عند الله، ولا عجب! ولو عقل الطامع لعلم أن الطمع يُنقِص القدر عند الله وعند الناس، ولا يزيد الرزق، لكنه مسحور فقد عقله وسُلِبَت إرادته.

قال **علي بن أبي طالب** رضي الله عنه:

«أكثر مصارع العقول تحت بروق المطامع»[2].

فحذارِ حذارِ من الطمع، فإنه إذا تملَّك من العبد صار أسوأ حالا من شارب الخمر الذي طار عقله كما قاله **علي** رضي الله عنه:

«ما الخمر صرفا بأذهب لعقول الرجال من الطمع»[3].

والخمر الصِّرف هي التي لم تُخلَط بشيء.

ومن خلال دركة الطمع الفاجر تفهم ظاهرة قلة العلماء الربانيين، والفتنة التي أصابت كثيرا من علماء اليوم، فركنوا إلى الظالمين أو سكتوا عن ظلمهم، وإن مردَّها في كثير من الأحوال إلى الطمع.

---

(١) مرقاة المفاتيح ٨/ ٣٣٠٤.
(٢) المستطرف ١/ ٨٣.
(٣) المستطرف ١/ ٨٣.



اجتمع كعب وعبد الله بن سلام، فقال له كعب رحمه الله:

يا ابن سلام.. من أرباب العلم؟! قال: الذين يعملون به.

قال: فما أذهب العلم عن قلوب العلماء بعد أن علموه؟ قال:

«الطمع، وشره النَّفس، وطلب الحوائج إلى الناس»[1].

دركة تهوي

إذا قادك الطمع إلى خطيئة أخرى، وهي خطيئة الحسد، وذلك أن الشيطان ملحاح، ومطامعه لا حدَّ لها، وغايته أن يثخِن فيك جراح الإيمان حتى الاستسلام.

والحسد سوء أدب مع الله، واعتراض على حكمه وقَدَره، وهو من الخطايا القلبية التي تقود لما هو أعظم وأخطر، وما أحلى قول الشاعر يخاطب حاسده واعظًا:

ألا قُلْ لمن كان لي حاسدًا ... أتدري على من أسأتَ الأدبْ

أَسأْتَ على اللّه في حُكْمِه ... لأَنَّك (لم تَرْضَ) ما قد وَهَبْ

فجازاك ربي بأن زادني ... وسَدَّ عليك وجوه الطَّلَبْ

فانظر كيف حرم الله الحاسد (الرضا) عقوبة له على حسده، وجزاء ما تطلَّع إلى ما في يد غيره، فامتلأ قلبه حسرة، واشتعل عليه نارًا، فاستحق الشفقة من كل من رآه:

إنّي لأرحم حاسدي من حَرِّ ما ... ضمَّت صدورهم من الأوغار

نظروا صنيع اللّه بي فعيونُهم ... في جَنَّة وقلوبهم في النار

دركة تهوي

إذا قادك طمعك من بعد الحسد إلى أكل الحرام وتناول الشبهات، وهي طريق تأخذ بيد صاحبها إلى النار، فإن فعل.. جمَع الله عليه نارين: **نار الدنيا** في صدره من جرّاء حسده، **ونار الآخرة** في غده من جرّاء عصيانه وفسقه.

---

(١) المستطرف ١/ ٨٣.



20 درجة
موالاة المؤمنين

ترتقي درجة بموالاتك للمؤمنين، وبُغضِك لمن عادى الدين، والموالاة هي المحبة والنصرة، وهي ذروة الإيمان كما جاء في الحديث:

«من أحبَّ لله وأبغض لله، وأعطى لله ومنع لله، فقد استكمل الإيمان»[1].

ولهذا كانت محبتك للمؤمنين أعظم ما يرفع درجتك ويبيِّض صحيفتك.

قال **شاه الكرماني** رحمه الله:

«ما تعبَّد متعبِّد بأكثر من التحبُّب إلى أولياء الله بما يحبون، لأن محبة أولياء الله دليل على محبة الله»[2].

أخي..

أنت سابقٌ وطامع في معالي الدرجات، لذا تُقرِّب من قرَّب الله، وتُبعد من أبعد، فإذا كان أكرم الناس عند الله أتقاهم، فأقرب الناس إليك أتقاهم، وإذا كان الله لا يحب الظالمين والمعتدين، فأنت بالضرورة لا تحب من أبغَض الله، ولو كانوا جيرتك وأقرب الناس إليك، وهذا معناه:

- أن يكون التقِيُّ من غير أهلك أحبَّ إلى قلبك من أخيك الذي لا يتقي الله.
- أن تحب من هم من غير وطنك ممن يحافظون على حرمات الله أكثر من حبك لأهل بلدك الفاسقين.

---

(١) صحيح: رواه أبوداود والضياء عن أمامة كما في صحيح الجامع رقم: ٥٩٦٥.
(٢) حلية الأولياء ١٣/ ٢٣٧.



- أن يكون مقياس الحب والبغض لديك القرب من الله أو البعد عنه.

وهذا جانب غاب عن كثير من الناس حول مقتضيات الإيمان وأركانه، فترى الرجل منهم مصليًا صائمًا قارئًا للقرآن، لكنه يخرق هذا كله بولائه لأعداء دينه ومناصرته لهم على حساب بني ملته.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في كتاب (الإيمان):

«فذكر جملة شرطيّة تقتضي مع الشرط انتفاء المشروط، قال: ﴿ وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ ﴾، فَدَلَّ على أن الإيمان المذكور ينفي اتّخاذَهم أولياءَ ويُضادُّه، ولا يجتمع الإيمان واتخاذهم أولياءَ في القلب، ودلَّ ذلك أن من اتّخذهم أولياء ما فعل الإيمان الواجب من الإيمان بالله والنبيِّ وما أُنزِل إليه»[1].

ومفهوم الولاية قديم قديم.. قد جرى على سائر الأقوام من قبلنا وبُعِث به الأنبياء، وكما هو مربحٌ لكنه كذلك قد يكون مهلكًا! فيأخذ بيديك نحو الجنة أو يودي بك إلى النار.

واسمع الحديث:

«انتسب رجلان على عهد موسى عليه السلام، فقال أحدهما: أنا فلان بن فلان حتى عَدَّ تسعة، فمن أنت لا أُمَّ لك؟! قال: أنا فلان بن فلان ابن الإسلام، قال: فأوحى الله إلى موسى عليه السلام أن قل لهذين المتنسبَيْن:

أما أنت أيها المنتمي أو المنتسب إلى تسعة في النار، فأنت عاشرهم!

وأما أنت يا هذا المنتسب إلى اثنين في الجنة، فأنت ثالثهما في الجنة»[2].

هل علمت الآن خطورة الموالاة ربحًا وخسارة؟!

---

(١) مجموع الفتاوى ٧/ ١٧.
(٢) صحيح: رواه أحمد والضياء في المختارة كما في السلسلة الصحيحة رقم: ١٢٧٠.



السابقون السابقون!

وممن سبقنا في مضمار الولاء والبراء سفير الإسلام الأول **مصعب بن عمير** رضي الله عنه.

روى **الواقدي** رحمه الله أن **أبا عَزيز بن عُمَير** (أسرَه **أبو اليَسر**، ثُم اقْتُرِع عليه، فصار **لِمُحْرِز بن نَضْلَة**، **وأبو عَزيز** أخوه **مُصعب بن عُمَير** لأُمه وأبيه، فقال **مُصْعَبٌ لِمُحْرِزٍ**: اُشْدُدْ يديك به، فإن له أُمّا بِمَكة كثيرة المال! فقال له **أبو عزيز**:

هذه وَصَاتُك بي يا أخي؟

فقال **مُصْعَب**: إنه أخي دُونَك!)[1].



ساموري توري!

واسمع هذا الموقف العظيم للإمام **أحمد ساموري توري** رحمه الله أحد كبار الدعاة الذين نشروا الإسلام في ربوع أفريقيا في القرن التاسع عشر، وحارب الفرنسيين هناك سنين طويلة -بلغت سبعة عشر عامًا- دفاعا عن أرضه وعقيدته، فما كان من الفرنسيين إلا أن (اختطفوا نجل الإمام ليفتّوا بذلك في عضد أبيه، ولكنه قال لمن ساوموه على افتدائه: إن ولدي لن يزيد عن مسلم عادي كهؤلاء الذي تحصدون أرواحهم دون حياء، فإذا كنتم تتوهمون أن اعتقاله سيُنهي الحرب، فقد أسأتم التقدير.

ثم واصل جهاده مستميتًا في الكفاح، ويئس الفرنسيون من النصر السريع فاحتالوا ثانية على اكتسابه، وعمدوا إلى النجل الأسير فاستمالوه بلذائذ النعيم وطرائف الرفاهية، وبعثوا به إلى باريس ليرى البهجة والنضارة، واللذة والعربدة، فينتشي بما زيَّن الشيطان من إثم، ويستكين لما أبدع الباطل من خداع، حتى إذا قطع الشوط إلى نهايته ساوموه على

(١) المغازي للواقدي ١/ ١٤٠- دار الأعلمي - بيروت.

مخالفة أبيه، والعمل على إنهاء الحرب ليصبح الوالد ملكا مشمولا بالعناية الأجنبية، ثم ليكون الابن من بعده ولي العهد وحليف الاستعمار، ورجع الشاب المغرور متحمسا للخيانة النكراء، وبدأ بالسعي إلى استمالة الضعفاء لوجهته، فأدرك الإمام حقيقة ما كان، والتهبت في صدره عاطفتان قويتان: عاطفة الأبوة ذات الحنان والسماح، وعاطفة الإسلام ذات القمع للباطل والانتقام للحق، فآثر دينه ووطنه، ثم حكم على ابنه بالإعدام السريع جزاء خيانته ومروقه)[١].

ألا ما أثقل هذا الموقف العظيم في ميزان صاحبه، فقد انتصرت فيه عاطفة الدين على عاطفة الأبوة المغروسة فطرةً في القلوب، وكأنما نزل فيه وأمثاله قول الله تعالى:

﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة٢٢].

20 دركة موالاة الكافرين والظالمين

دركة تمهيد

إن واليت الكافرين على حساب المؤمنين، وموالاة أعداء الله تقع على مراتب متفاوتة، منها ما يوجب الرِّدَّة وضياع الدين، ومنها ما هو دون ذلك من الكبائر والمحرمات. قال ابن عطية رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة:٥١]:

«ومن تولاهم بمعتقده ودينه فهو منهم في الكفر واستحقاق النقمة والخلود في النار، ومن تولاهم بأفعاله من العضُد ونحوه دون معتقد ولا إخلال بإيمان، فهو منهم في المقت والمذمة الواقعة عليهم وعليه»[٢].

(١) تفسير ابن كثير ٣/ ١٥٢.
(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٢/ ٢٠٤- ابن عطية الأندلسي- دار الكتب العلمية - بيروت.



وقال **الطاهر بن عاشور** رحمه الله في نفس الآية:

«ولما كان المؤمن إذا اعتقد عقيدة الإيمان واتبع الرسول ولم ينافق كان مسلمًا لا محالة كانت الآية بحاجة إلى التأويل.

وقد تأولها المفسرون بأحد تأويلين:

إما بحمل الولاية في قوله ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم﴾ على الولاية الكاملة التي هي الرضا بدينهم والطعن في دين الإسلام.

وإما بتأويل قوله ﴿فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡ﴾ على التشبيه البليغ، أي فهو كواحدٍ منهم في استحقاق العذاب.

وقد اتفق علماء السنة على أن ما دون الرضا بالكفر وممالاتهم عليه من الولاية لا يوجب الخروج من الرِّبْقة الإسلامية، ولكنه ضلال عظيم، وهو مراتب في القوة بحسب قوة الموالاة»[1].

لكن ما مفهوم الولاية هنا؟!

قال تعالى:

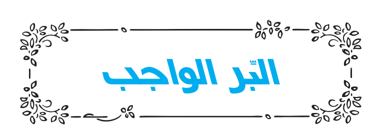
﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [آل عمران ٢٨].

قال **ابن كثير** رحمه الله:

«هذا نهي من الله عز وجل إلى المؤمنين أن يتَّخذوا الكفار أعوانًا وأنصارًا وظهورا توالونهم على دينهم وتظاهرونهم على المسلمين من دون المؤمنين، وتدلّونهم على عوراتهم؛ فإنه من يفعل ذلك فليس من الله في شيء، يعني بذلك، فقد برئ من الله تعالى، وبرئ الله منه بارتداده عن دينه ودخوله في الكفر»[2].

---

(١) التحرير والتنوير ٦/ ٢٣٠ – الطاهر بن عاشور – الدار التونسية للنشر – تونس.
(٢) كتاب الثبات ٢٤/ ٢٦ – محمد موسى الشريف – ط دار الأندلس الخضراء نقلا عن مقال الدكتور محمد رجب بيومي بعنوان: (الإسلام فوق كل اعتبار) نشر في مجلة الأزهر ٢/ ٣٣ – سنة ١٣٨١.



البِّر الواجب

لكن عدم موالاة الكافرين لا علاقة لها بالبر والإحسان تجاه من لم يعادينا وسالمنا، فقد أمرنا الله مع من سالمنا بأمرين: بالقسط وهو العدل، والبِر وهو فوق العدل..

قال الشيخ **عبد الرحمن السعدي** رحمه الله في (القواعد الحسان) في قوله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة:٨-٩]:

«فالنهي واقع على التولي والمحبة لأجل الدين، والأمر بالإحسان والبر واقع على الإحسان لأجل القرابة، أو لأجل الإنسانية على وجه لا يُخِلُّ بدين الإنسان»[١].

دركة تهوي

إذا واليتَ ظالما أو ركَنتَ إليه، فمهما يكن لديك من صلاة وزكاة وحج، فإن ركونك إلى الظالمين يضيِّع كل هذا، ومن هنا قال عالم أهل المدينة وسيد التابعين في زمانه **سعيد بن المسيب** رحمه الله:

«لا تملأوا أعينكُم من أعوان الظلَمَة إلا بإنكارٍ من قلوبكم؛ لئلَّا تحبط أعمالكم الصَّالحة»[٢].

---

(١) القواعد الحسان لتفسير القرآن ١/ ٣٨ - عبد الرحمن آل سعدي - مكتبة الرشد بالرياض. **فائدة**: رأى بعضهم أن محبة الرجل لامرأته من أهل الكتاب طبيعي وملازم، وكذلك محبة الرجل للرجل بسبب خصلة من الخير أسداها إليه، فهو يحب هذه الصفة فيه، فإن محبته المنهي عنها هي المحبة في الدين، لكن لو أحببت فيه كرمه أو مروءته، فهذا لا شيء فيه، وأما قوله ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾، فالحكم المعلَّل إذا قُرِن بوصف يصلح للتعليل، فإن الوصف هو العلة، والمعنى لا تتخذوهم أولياء لأنهم عادوا الله ورسوله، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ﴾ والمعنى: بسبب برِّهم، ﴿وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾ بسبب فجورهم، وهو ما يسميه علماء الأصول الإيماء على العلة.

(٢) الكبائر ص ١١٢.

قال تعالى:

﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ ﴾ [هود ١١٣].

والركون: الميل بالرُّكن، أي بالجانب من الجسد، واستُعمِل في المحبة والموافقة، وهو نهيٌ رباني صريحٌ عن التورط في محبة الظالمين ومودَّتهم، والانقطاع إليهم، ومصاحبتهم، ومجالستهم، والتعاون معهم، وطاعة أمرهم، ومداهنتهم بلين الكلام ومجاملتهم، والرضا بأعمالهم، والتشبه بهم، ومدِّ العين إلى زهرة نعيمهم، وذكرهم بما يوحي بتعظيمهم.

وهي كما ترى دركات بعضها تحت بعض! فتبدأ الموالاة بترك الإنكار على الظالم بالقلب أو اللسان، وتنتهي بأن تُزيِّن له ظلمه أو تبرِّره للناس من حولك.

وهذا النهي الرباني بالنهي عن الركون إلى الظلمة غاية في الأهمية، ومما يضاعف أهميته: جهل كثير من الناس بأهميته!

قال الحسن البصري رحمه الله:

«جعل الله الدين بين لاءين: ﴿وَلَا تَطْغَوْاْ﴾ ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ﴾»[1].

ومما يلفت الأنظار هنا أن الله ختم الآية بجملة: ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ [هود ١١٣] لتعطي أقوى دلالة في التنبيه والتحذير، فالركون إلى الظالمين فضلا عن أنه يجرُّ إلى النار، فإنه لا يضمن لك أي نصر أو نجاح، لأنَّ ليس غير الله يضمن ذلك، ولأن من ركن إلى ظالم فقد عادى الله وانحرف عن منهاجه؛ فتخلى الله عنه فلم ينصره، وهل غير الله وليٌّ أو نصير؟!



(١) التحرير والتنوير ١٢/ ١٧٧.



21 درجة
العالم العامل



وهو خير ما نختم به الكتاب..

ترتقي درجة

إذا نلتَ عِلما عند جهل الناس، وترتقي درجة أعلى إذا آزر هذا العلم عبادة، فكلما زاد علمك زادت طاعتك، وكلما عظم من العلم نصيبك زاد في الجنة نعيمك، والعبادة وحدها هي التي تعصمك من طغيان العلم، فإن للعلم طغيانا وسطوة تغرس في قلب صاحبها الكبر والاختيال، وهذا الكبر لا يمحوه إلا العمل الصالح.

قال **يوسف بن الحسين** رحمه الله:

«في الدُّنْيا طغيانان: طغيان العلم وطغيان المال، والَّذي يُنْجيك من طغيان العلم: العِبادة، والَّذي يُنجيك مِنْ طُغْيَانِ المال: الزُّهد فيه»[1].

ولذا كانت الوصية الذهبية **لأبي قلابة** رحمه الله لكل من حاز علمًا:

«إذا أحدث الله لك عِلْمًا فأَحْدِثْ له عبادة، ولا يَكُنْ إنَّما همُّك أن تُحدِّثَ به النَّاس»[2].

وقد قام **سفيان الثوري** رحمه الله بتنفيذ هذه الوصية بحذافيرها، فكان من أهلها ووُعاتها ودعاتها، فقال رحمه الله:

«ما بَلَغَني عن رسول الله ﷺ حديثٌ قطُّ إلا عَمِلتُ به ولو مرة»[3].

(١) اقتضاء القول العمل ١/ ٣٠.
(٢) اقتضاء القول العمل ١/ ٣٤.
(٣) الحلية ٧/ ٢٤٢.

ترتقي درجة

لو اجتهدت أن تعمل بكل ما علمت، ولو كان فضائل الأعمال لا فرائضها، فتسمع حديثا في فضل عمل صالح، فتغار ألا تكون من أهله، فتبادر إليه، وتخشى أن تُحرم أجره وفضله، وتنظر إلى كل ما بلغك من علم على أنه كنز ثمين وصل إليك وفات غيرك، وفرصة ثمينة تمر بين يديك تطلب إليك أن تقتنصها.

وما أروع قول **ابن الجوزي** رحمه الله:

«من علم أن الدنيا دار سباق، وتحصيل للفضائل، وأنه كلما علت مرتبته في علم وعمل زادت المرتبة في دار الجزاء، انتهب الزمان ولم يضيع لحظة، ولم يترك فضيلة تُمكِّنه إلا حصَّلَها، ومن وُفِّق لهذا فليبكِّر زمانه بالعلم، وليصابر كل محنة وفقر، إلى أن يحصل له ما يريد، وليكن مخلصًا في طلب العلم عاملا به حافظا له، فأما أن يفوته الإخلاص فذلك تضييع زمان وخسران الجزاء، وأما أن يفوته العمل به فذاك يقوي الحجة عليه والعقاب له»(١).

21 دركة عدم العمل بما علِمت

دركة تهوي

إن كان علمك حجة عليك لا لك، ولذا كان من مشاهد النار التي رآها النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة الإسراء والمعراج:

«أتيت ليلة أُسرِي بي على قوم تُقرَض شفاههم بمقاريض من نار كلما قُرِضَتْ وفَتْ، فقلت: يا جبريل من هؤلاء؟ قال: خطباء أمتك الذين يقولون ما لا يفعلون، ويقرؤون كتاب الله ولا يعملون به»(٢).

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية ١/ ٢٢٣ – ابن مفلح – عالم الكتب.
(٢) حسن: رواه البيهقي عن أنس كما في صحيح الجامع رقم: ١٢٩.

وهذا هو المسكين بحق.. مسكين الآخرة وهو الأسوأ حالًا من مسكين الدنيا.. قال **يحيى بن معاذ** رحمه الله:

«مسكينٌ مَنْ كان عِلْمُه حجيجُه، ولسانه خصيمه، وفهمه القاطِعُ بِعُذْره»(١).

ولذا قال **الشعبي** رحمه الله تواضعًا:

«إنا لسنا بالفقهاء، ولكنا سمعنا الحديث فرويناه، ولكن الفقهاء من إذا علم عمل»(٢).

إن تعلم العلم دون عمل به هو اكتناز كنز لا تنفق منه وتُحاسَب عليه، ولذا كان **أبو الدرداء** رضي الله عنه كثيرًا ما يقول:

«أخوف ما أخاف أن يُقال لي يوم القيامة:

يا عويمر.. أعلمت أم جهلت؟

فإن قلتُ: علمتُ، لا تبقى آية آمرة أو زاجرة إلا أُخِذتُ بفريضتها الآمرة.. هل ائتمرتُ؟

والزاجرة.. هل ازدجرت؟»(٣).

أخي..

إن لم ينفعك علمك أضرك، لأنك ستُسأل ماذا عملت به، فإن لم تكن عمِلتَ به كان حجة عليك، ولذا ما سأل رجلٌ أمَّ الدرداء فأكثر، قالت له **أم الدرداء** رضي الله عنها: أتعمل بكل ما تسأل عنه؟

قال: لا.

فقالت: فما ازديادك من حجة الله عليك»(٤).

(١) اقتضاء القول العمل ١/ ٥٢.
(٢) اقتضاء القول العمل ١/ ٧٩.
(٣) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ١/ ٢١٣ – أبو نعيم الأصبهاني – دار الكتاب العربي – بيروت.
(٤) الزهد لأحمد ١/ ١٤٥ – دار الكتب العلمية.

دركة تيهِ

إذا كنت داعية يستمع الناس إلى أوامره التي لا تأتمر بها، ونواهيه التي تقع فيها..

جاء رجل فقال: يا ابن عباس.. إني أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر.

قال ابن عباس: أو بلغت؟

قال: أرجو.

قال: فإن لم تخش أن تفتضح بثلاثة أحرف في كتاب الله عز وجل فافعل.

قال: وما هن؟

قال: قوله عز وجل: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٤٤] أحكَمْتَ هذه الآية؟!

قال: لا.

قال: فالحرف الثاني؟

قال: قوله عز وجل: ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢، ٣]. أحكمت هذه الآية؟!

قال: لا.

قال: فالحرف الثالث؟

قال: قول العبد الصالح شعيب عليه السلام: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾ [هود: ٨٨] أحكمت هذه الآية؟!

قال: لا.

قال: فابدأ بنفسك»[(١)].

(١) شعب الإيمان ١٠/ ٦٠ - أبو بكر البيهقي - مكتبة الرشد بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند.



اختيارك!

أخي..

وفي ختام هذه الجولة بين السطور..

والتقلب رجاء وخوفا مع تقليب الصفحات.. ما اختيارك؟

أتحلِّق في الآفاق أم تهوي إلى الأعماق؟! أتعشق جنة الخلد أم تزهد؟!

ترتقي أم تهوي؟

تسمع في القيامة بشارة (قد نجا)!

أم تنكسر كسرة الأبد تحت هول (قد هوى)!

هلا حسمت اليوم القرار ليطيب لك غدًا فيها القرار..

هلا انتفضت في التو واللحظة لتلحق بقطار التائبين..

وتتخلَّف عن ركب الغافلين..

هؤلاء الذين يَوَدُّ كلٌّ منهم غدا لو كان من الْمُحْسِنِينَ..

لو كان من أصحاب الحسنات لا السيئات..

من أصحاب الدرجات لا الدركات..

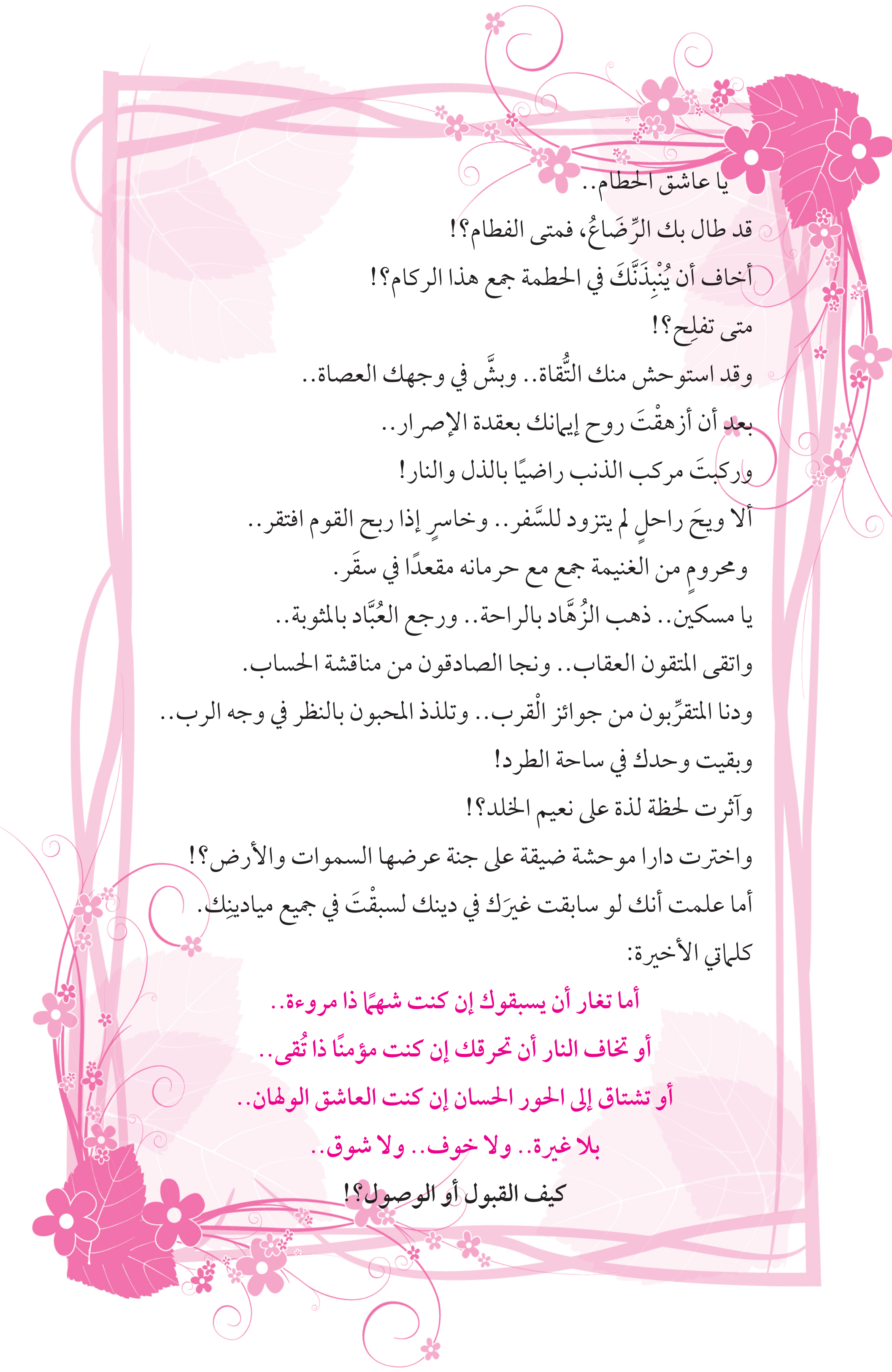
عشاق كل عمل نفيس لا خسيس..

أوْلِياء الرحمن لا جند إبليس.

لو كان سعيدًا ولم يكن عن الله بَعيدًا..

فيا حسرة المسبوق يوم الجزاء!!

فكيف لو لم تكن مجرَّد خسارة جولة بل خلودًا في نار لا تخبو وجحيم لا يهدأ؟!



يا عاشق الحطام..

قد طال بك الرِّضَاعُ، فمتى الفطام؟!

أخاف أن يُنْبِذَنَّكَ في الحطمة جمع هذا الركام؟!

متى تفلِح؟!

وقد استوحش منك التُّقاة.. وبشَّ في وجهك العصاة..

بعد أن أزهقْتَ روح إيمانك بعقدة الإصرار..

وركبتَ مركب الذنب راضيًا بالذل والنار!

ألا ويحَ راحلٍ لم يتزود للسَّفر.. وخاسرٍ إذا ربح القوم افتقر..

ومحرومٍ من الغنيمة جمع مع حرمانه مقعدًا في سقَر.

يا مسكين.. ذهب الزُّهَّاد بالراحة.. ورجع العُبَّاد بالمثوبة..

واتقى المتقون العقاب.. ونجا الصادقون من مناقشة الحساب.

ودنا المتقرِّبون من جوائز الْقرب.. وتلذذ المحبون بالنظر في وجه الرب..

وبقيت وحدك في ساحة الطرد!

وآثرت لحظة لذة على نعيم الخلد؟!

واخترت دارا موحشة ضيقة على جنة عرضها السموات والأرض؟!

أما علمت أنك لو سابقت غيرَك في دينك لسبقْتَ في جميع ميادينِك.

كلماتي الأخيرة:

أما تغار أن يسبقوك إن كنت شهمًا ذا مروءة..

أو تخاف النار أن تحرقك إن كنت مؤمنًا ذا تُقى..

أو تشتاق إلى الحور الحسان إن كنت العاشق الولهان..

بلا غيرة.. ولا خوف.. ولا شوق..

كيف القبول أو الوصول؟!



صدر للمؤلف

أولا: الكتب

١) شباب جنان: (كتاب + كتيبات متفرقة)

«سلامة قلبك - غرامة تأخير - أحلى صحبة - نقطة رجوع».

سلسلة تستهدف الشباب، فالشباب بذرة غالية منحها الله لكم يا شباب، وترك لكم أن تختاروا الأرض التي تبذرون فيها.

٢) معًا نصنع الفجر القادم:

كتاب يبث الأمل في القلوب ويبشِّر بحتمية الانتصار عن طريق إشاعة: خماسية الألم، وخماسية الأمل، وخماسية السُّنن، وخماسية العمل، وخماسية الهمم.

٣) رُدَّ إليَّ روحي: (كتاب من جزأين)

«بأي قلب نلقاه وجرعات الدواء».

موسوعة قلبية شاملة موضوعها القلوب، أمراضها وعلاجها وشفاؤها.. تستهدف قلوب الكل.. قوي الإيمان وضعيفه.

٤) هبي يا ريح الإيمان: (كتاب + كتيبات متفرقة)

كتاب يحوي عشر نسمات تهدف إلى زيادة الرصيد الإيماني ودعم الذاتية التعبدية.

٥) سباق نحو الجنان:

كتاب يتناول صفات القلوب المتسابقة نحو الآخرة، ورسوم الاشتراك في السباق، مع ذكر الواحات التي تأوي إليها القلوب، والعقبات التي تعترضها، مع وصايا عشر تساعد على البدء فورا في السباق.

٦) صفقات رابحة: (كتاب + كتيبات متفرقة)

عشر صفقات تعبِّر عن عشر عبادات متنوعة تتضمن كل صفقة منها: تسهيلات الصفقة أي ما يعينك عليها، وأرباحها وتشمل ثوابها الذي يدفعك إليها، والشروط الجزائية.



٧) رحلة البحث عن اليقين:

يتناول معنى اليقين، وكيف غرس النبي ﷺ اليقين، والعقبات التي تحول دونه، وتوائم اليقين، وكيف الوصول إليه.

٨) أول مرة أصلي:

وهي رائعة من روائع ابن القيم، هذَّبتها وبسطَّتها وشرحتها وأضفت إليها أضعاف معانيها، لتجعل بإذن الله لصلاتك طعما آخر ومذاقا أروع.

٩) ونطق الحجاب:

وهي رسالة تخاطب الأخت المسلمة تعلمها الطريق إلى أفضل حجاب من خلال سردها لثمرات الحجاب المزهرة، وأشواك التبرج المهلكة.

١٠) ليلى بين الجنة والنار:

وهي موسوعة ترغيبية ترهيبية، وهما كتابان في كتاب واحد، الأول يتناول التشويق للجنة مع سبل السلوك إليها، والثاني يتناول النار مع طرق الوقاية منها.

١١) يا صاحب الرسالة:

كتاب يخاطب من حمل دعوة الإسلام، واحترق قلبه كمدًا على حال أمتنا، وفي الكتاب: علامات حمل هذا الهَمِّ النبيل، وكيف يُقدِّم صاحب الرسالة الدعوة في اختياراته من اختيار زوجة وبذل وقت، وكيف يضمن أن لا تفارقه في أي من لحظات حياته، وما هي الحواجز التي تحول بينه وبين هذا الهدف النبيل.

١٢) الحرب على الكسل: (١٠ طلقات في قلب الكسل)

كتاب يستهدف علاج الفتور والتعامل الصحيح مع مواسم الكسل، وذلك عبر عشر خطوات ناجعة هي أقرب إلى خارطة طريق واضحة توصل إلى الهمة العالية والعزم الفتي.

١٣) وغرَّد قلبي:

كتاب يجمع أفضل ما نزل على صفحتي على الفيس وتويتر مبوَّبة منسقة، وتشمل مواضيع مختلفة، وبمثل وجبة خفيفة لمن لا يحب القراءات المطولة.



١٤) جنتـــــان:

ويشمل الآثـار الطيبة للحسنـات، مع فتـح أبـواب الرجـاء، وتغليب مدرسـة الترغيب.

١٥) ينابيع الرجاء: (كتاب من جزأين)

يحوي كل واحد منهما ثلاثين سنة ربانية وبشارة إلهية، مستقاة من القرآن والأحاديث، وهدفها: بث روح الأمل، واليقين بحسن عاقبة المتقين، مع ربط هذا بواجبك نحو هذا الاختبار من ثبات على الحق، وعمل لرفعة شأنه.

١٦) وتستمر المعركـة:

وهو كتاب يهدف إلى تجسيد عداوة الشيطان لديك إلى عداوة حسيـة ملموسة، واستعراض أسلحته والأسلحة المضادة لمواجهة كل سلاح من أسلحته، مع وضع خطة تفصيلية خطوة بخطوة للتغلب عليه ودحره ذليلًا صاغرًا.

١٧) درجات ودركات: أعلى درجات الجنة، وأسفل دركات النار:

هو هذا الكتاب الذي بين يديك ويتناول ميزان تفاضل الأعمال، وأثقلها في الميزان (أي العمل أفضل)، وكيف أن ذلك سبيل لنيل أعلى الدرجات في جنة الرضوان، ويعرض كذلك للأعمال التي تورث أسفل دركات النار (أي الذنب أعظم).

ثانيًـا: الإصدارات الموسمية

١٨) المهاجـرون الجـــدد:

دروس ثمانية من الهجرة من تمثَّلها نال أجر المهاجرين وإن لم يقطع الصحارى والقفار.

١٩) المـهــاجـــــر:

رسالـة تتناول معنى الهجـرة وأثرها في حياة المسلم بنظرة مختلفة، وخطة عمل تفصيلية عن كيفية الإقلاع عن الذنوب ومحفزات ذلك.



٢٠) من الطـــــارق:

هو كتاب يتناول شهر رمضان كزائر عزيز، معه الهدايا الغاليات، والتي تتطلب منا رد الجميل من قيام ودعاء وقرآن.

٢١) ٩٠ يــوم ثــورة:

كتاب رمضاني يستهدف تعظيم الاستفادة من رمضان باعتباره ثورة حقيقية في كل مجالات الحياة: العاديَّات والعبادات والسلوكيات والعلاقات، ويبدأ من شهر شعبان وينتهي بشوال (موسم مدته ثلاثة شهور).

٢٢) الاعتكاف.. تربية الأيام العشرة:

يتحدَّث عن مقاصد الاعتكاف العشرة، مع إبراز أفضل عبادات المعتكف، والتعرُّض لسموم الاعتكاف أي محظوراته.

٢٣) سهام الخير.. عشر ذي الحجة:

يحوي عشر عبادات موزّعة على الأيام العشر مع التحدُّث عن فضائل هذه العبادات، مع تمهيد بفضل هذه الأيام.

٢٤) رحلة المشتاق.. الحج والعمرة:

كتاب يشمل أسرار العمرة إضافة إلى أسرار من الحج، وهو يتناول المعاني القلبية الخفية التي تجعل لعمرتك وحجك طعمًا آخر ومذاقًا أروع وثوابًا أعظم.

٢٥) (١٠×١٠).. لمن فاته الحج هذا العام:

رسالة صغيرة الحجم مطبوعة في ٢٤ صفحة، بمناسبة أيام العشر الأوائل من ذي الحجة.. التي هي أعظم أيام الدنيا.. وهي تتحدث عن عشر عبادات هامة تملأ هذه الأيام المباركة.



محتويات الكتاب



